

العـــدد: ٦٩ المحرم ١٤٢٠هـ السـنة التاسعة عشـرة

نحو تقويم جديد للكتابة العربية

أ.د. طالب عبد الرحمن

الطبعـة الأولى

المحرم ١٤٢٠ هـ

نيسان (إبريل) - أيار (مايو) ١٩٩٩م

٤١١ طالب عبد الرحمن

نحو تقويم جديد للكتابة العربية / طالب عبد الرحمن

الدوحة : وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية؛ ١٩٩٩م .

١٥٢ ص . ؛ ٢٠ سم . - (كتاب الأمة)

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية : ٥٩/ ١٩٩٩ .

الرقم الدولي الموحد للكتاب (ردمك) : ٥ - ٨٨ - ٢٣ - ٩٩٩٢١

حقوق الطبع محفوظة
لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
بدولــــة قطــــر

موقعنــا على الإنتــرنت:
www.islam.gov.qa
البـريد الإلكتـروني :E-Mail
M_Dirasat@Islam.gov.qa

ما ينشــر في هـــذه السلسلــة يعبــر عن رأي مؤلفيهـا



صدر منه :

- **مشكلات في طريق الحياة الإسلامية**

« طبعة ثالثة » – الشيخ محمد الغزالي

- **الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف**

« طبعة ثالثة » – الدكتور يوسف القرضاوي

- **العسكرية العربية الإسلامية**

« طبعة ثالثة » – اللواء الركن محمود شيت خطاب

- **حول إعادة تشكيل العقل المسلم**

« طبعة ثالثة » – الدكتور عماد الدين خليل

- **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**

« طبعة ثالثة » – الدكتور محمود حمدي زقزوق

- **المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري**

« طبعة ثالثة » – الدكتور محسن عبد الحميد

- **الحرمان والتخلف في ديار المسلمين**

« طبعة ثالثة + طبعة إنجليزية » الدكتور نبيل صبحي الطويل

- **نظرات في مسيرة العمل الإسلامي**

« طبعة ثانية » – الأستاذ عمر عبيد حسنه

- **أدب الاختلاف في الإسلام**

« طبعة ثانية » – الدكتور طه جابر فياض العلواني

- **التـــــــــراث والمـــعـــــاصــــــرة**

« طبعة ثانية » ـ الدكتـــور أكـــرم ضيـــــاء العمـــري

- **مشكلات الشباب: الحلول المطروحة والحل الإسلامي**

« طبعة ثانية » ـ الدكتــــور عبــــاس محــجـــوب

- **المسلمون في السنغال ـ معالم الحاضر وآفاق المستقبل**

« طبعة أولى » ـ الأستـــاذ عبد القـــادر محمـد سيـــلا

- **البـنــــــوك الإســـلامـيـــــــة**

« طبعة أولى » ـ الدكتـــور جمـــال الديـن عطيــــة

- **مـدخـــــل إلـى الأدب الإســـلامـــي**

« طبعة أولى » ـ الدكتـــور نجيـــب الكيــــــــلاني

- **المخـــدرات مـــن القـلـق إلـــى الاستعباد**

« طبعة أولى » ـ الدكتـــور محمــد محمـــود الهـــواري

- **الـفــكـر المنهجـــي عنـــد المحـــدثين**

« طبعة أولى » ـ الدكتـــور همــام عبـد الرحيـم سعيـد

- **فقـــه الدعـوة ملامـــح وآفـــاق في حوار**

الجزء الأول والثاني « طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر ـ الأستاذ عمر عبيد حسنه

- **قضـية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر**

« طبـعـة أولى » ـ الـدكـتـور زغلـــول راغـــب النـجـــار

- **دراســـة فـــي البـنـــاء الحضـــاري**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب ـ الدكتور محمود محمد سفر

- **في فــقه التـدين فـــهـمــًا وتـــنـزيـــلاً**

الجزء الأول والثاني « الطبعة الأولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب ـ الدكتور عبدالمجيد النجار

- في الاقتصاد الإسلامي (المرتكزات - التوزيع - الاستثمار - النظام المالي)

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور رفعت السيد العوضي

- النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية - دراسة مقارنة

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور محمد أحمد مفتي والدكتور سامي صالح الوكيل

- أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور أحمد محمد كنعان

- المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور عبد العظيم محمود الديب

- مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب - نخبة من المفكرين والكتاب

- مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور ماجد عرسان الكيلاني

- إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور ماجد عرسان الكيلاني

- الصحوة الإسلامية في الأندلس

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر - الدكتور علي المنتصر الكتاني

- اليهود والتحالف مع الأقوياء

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر - الدكتور نعمان عبد الرزاق السامرائي

- الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر - الأستاذ منصور زويد المطيري

- **النظم التعليمية عند المحدثين**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر ـ الأستاذ المكي أقلاينة

- **العقل العربي وإعادة التشكيل**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر ـ الدكتور عبد الرحمن الطريري

- **إنفاق العفو في الإسلام بين النظرية والتطبيق**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر ـ الدكتور يوسف إبراهيم يوسف

- **أسباب ورود الحديث**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر ـ الدكتور محمد رأفت سعيد

- **في الغزو الفكري.**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر ـ الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح

- **قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي**

الجزء الأول والثاني « طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر ـ الدكتور أكرم ضياء العمري

- **فقه تغيير المنكر**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر ـ الدكتور محمد توفيق محمد سعد

- **في شرف العربية**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر ، وطبعة خاصة بالمغرب ـ الدكتور إبراهيم السامرائي

- **المنهج النبوي والتغيير الحضاري**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب ـ الأستاذ برغوث عبد العزيز بن مبارك

- **الإسلام وصراع الحضارات**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب ـ الدكتور أحمد القديدي

- **رؤية إسلامية في قضايا معاصرة**

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب ـ الدكتور عماد الدين خليل

• المستقبل للإسلام

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور أحمد علي الإمام

• التوحيد والوساطة في التربية الدعوية

الجزء الأول والثاني « طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الأستاذ فريد الأنصاري

• الإسلام وهموم الناس

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الأستاذ أحمد عبادي

• التأصيل الإسلامي لنظريات ابن خلدون

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور عبد الحليم عويس

• عمرو بن العاص.. القائد المسلم.. والسفير الأمين

الجزء الأول والثاني « طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - اللواء الركن محمود شيت خطاب

• وثيقة مؤتمر السكان والتنمية.. رؤية شرعية

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور الحسيني سليمان جاد

• في السيرة النبوية.. قراءة لجوانب الحذر والحماية

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور إبراهيم علي محمد أحمد

• أصول الحكم على المبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيمية

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الدكتور أحمد بن عبد العزيز الحليبي

• من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الأستاذ عبد الله الزبير عبد الرحمن

• عبد الحميد بن باديس رحمه الله وجهوده التربوية

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الأستاذ مصطفى محمد حميداتو

• تخطيط وعمارة المدن الإسلامية

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب - الأستاذ خالد محمد مصطفى عزب

- نحـــــو مشـــروع مجلـــة رائـــدة للأطفـــال

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب ـ الدكتور مالك إبراهيم الأحمد

- المنظور الحضاري في التدوين التـاريخي عند العرب

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب ـ الدكـتور سالم أحمد محل

- مـــن فـقـــه الأقـليـــــات المسـلمـــــة

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خـاصة بالمغرب ـ الأستاذ خالد عبد القادر

- الاجتهـــاد الجماعـــي في التشـريـــع الإسـلامي

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب ـ الدكتور عبد المجيد السوسوه الشرفي

- النظم التعليمية الوافدة في أفريقيا .. قراءة في البديل الحضاري

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصـة بالمغرب ـ الدكتور قطب مصطفى سانو

- إشكاليات العمل الإعلامي .. بين الثوابت والمعطيات العصرية

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصـة بالمغرب ـ الدكتـور محي الدين عبد الحليم

- الاجتهاد المقاصدي .. حجيته .. ضوابطه .. مجالاته

الجزء الأول والثاني « طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصة بالمغرب ـ الدكتـور نور الدين بن مختار الخادمي

- القيـــم الإسلاميـــة التربـــوية والمجتمع المعـــاصر

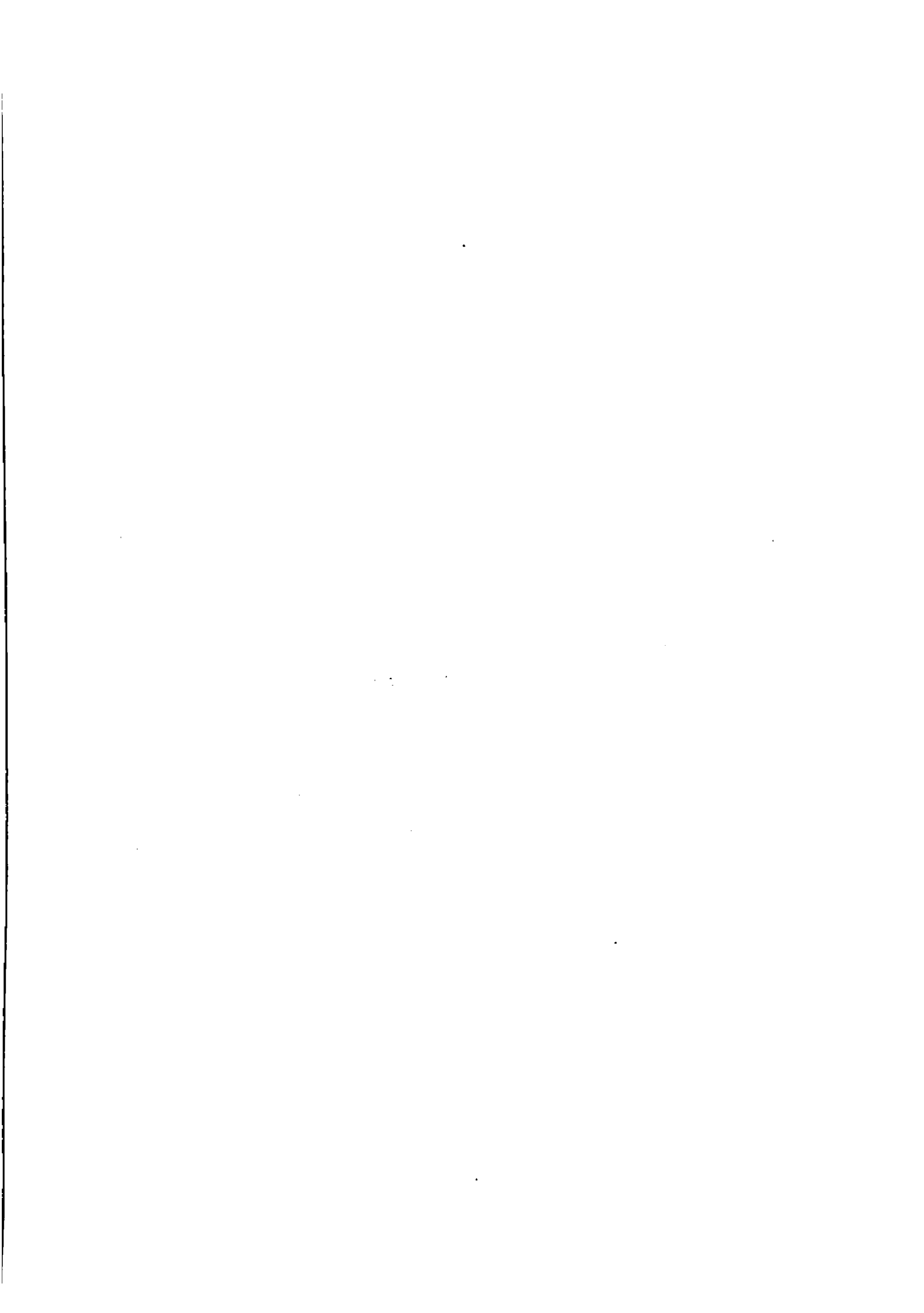
« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصـة بالمغرب ـ الأسـتــاذ عبد المجيد بن مسعود

- أضــواء على مشكـلة الغذاء في المنطقة العربية الإسلامية

« طبعة أولى » + طبعة خاصة بمصر، وطبعة خاصـة بالمغرب ـ الأسـتاذ عبد القادر الطـرابلسي

قال تعالىٰ :

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (الزمر: ٢٧-٢٨)



تقديم
عمر عبيد حسنه

الحمد لله الذي اختار العربية لتكون لغة خطاب الوحي الخاتم للعالمين، فأصبحت بذلك لغة الوحي، وكلام الله، أو خطاب الله لعباده جميعًا حتى يرث الله الأرض ومن عليها.. وهذا الاختيار -والله أعلم حيث يجعل رسالته- أو هذا الجعْل للرسالة، لا يقتصر على اختيار الإنسان، أو لا يصدق فقط على اصطفاء الرسول ﷺ من بين سائر البشر -وهو المقصد الأول في الآية- وإنما يصدق كذلك على أرض النبوة، وقوم النبوة الأوائل، وزمان النبوة، ولغة النبوة، وما إلى ذلك من آفاق وأبعاد أخرى، ويكفي ذلك العربية تشريفًا، كما يكفيها دليلاً على قدرتها وإمكاناتها، واستيعابها لبعدي الزمان (الماضي والحاضر والمستقبل) والمكان (الجغرافيا)، وما يكون في ذلك من تطور البشرية ونمو فكرها.

فإذا حقّ لنا أن نقول: بأن القرآن الكريم جاء مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة: ٤٨)، فإن لغة التنزيل -العربية- تكتسب بذلك

خصائص الهيمنة نفسها بالنسبة لسائر اللغات وأوعية التفكير ووسائل التعبير والتغيير والتواصل، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ (الشعراء:١٩٣-١٩٥)، وقال تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ (الزمر:٢٨).

والصلاة والسلام على إمام البيان، الذي ابتعث في الذروة من قومه فصاحة وبلاغة وبيانًا، آتاه الله جوامع الكلم، قال رسول الله ﷺ: «**أوتيت جوامع الكلم**» (رواه مسلم)، وكانت معجزته التي وسعتها اللغة العربية، وكانت أداتها، بيانية بالدرجة الأولى، وكان عليه الصلاة والسلام محلاً للقول الثقيل: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (المزمل:٥)، كما كان المبيِّن عن ربه ما نزل إليه، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل:٤٤).

وبعد:

فهذا كتاب الأمة التاسع والستون: «نحو تقويم جديد للكتابة العربية» للأستاذ الدكتور طالب عبد الرحمن، في سلسلة

كتاب الأمة التي يصدرها مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر، مساهمة في تحقيق الوعي بدور الأمة الحضاري، وإحياء فاعليتها لاسترداد دورها في الشهادة على الناس، والقيادة لهم إلى الخير وإلحاق الرحمة بهم.

ولقد كان من أهم الأهداف تجديد الذهنية الإسلامية لتلقي عطاء الوحي، واعتماده مصدراً للمعرفة المعصومة وإطاراً مرجعياً لمعرفة العقل، وضابطًا لمسيرة العلم ليتجه صوب الإنتاج العلمي المحقق لخير البشرية، بعيداً عن البغي وتسلط الإنسان على الإنسان، كما يلح على إحياء الفروض الحضارية من السير في الأرض، والتوغل في تاريخ الأمم والحضارات لتحقيق العبرة والاهتداء إلى سنن السقوط والنهوض، والاتعاظ بأحوال الأمم الماضية، والحيلولة دون تسرب علل التدين التي لحقت بأهل الأديان السابقة فكانت سبب هلاكهم وانقراضهم.

وقد يكون من المهم في هذه المرحلة بالذات، إبراز ما تمتلكه الأمة المسلمة من الإمكان الحضاري الذي يؤهلها للقيام بالدور العالمي والإنساني المأمول، ومحاولة المساهمة بوضع الرؤية المستقبلية الملتزمة بالأوعية الشرعية لحركة الأمة، والمرتكزة إلى

قيمها الصحيحة في الكتاب والسنة، من خلال حديث القرآن الكريم عن العواقب وإخبار الرسول ﷺ عما سيكون، والتأكيد على عوامل الوحدة، وفتح قنوات الحوار الداخلي لإزالة الحواجز بين المسلمين، وزيادة مساحة القواسم المشتركة، وتوسيع دائرة الوعي والتفاهم، والتبصير بالتحديات الداخلية والخارجية، والاجتهاد المشترك لكيفية التعامل معها، وتحقيق المصالحة بين أبناء الأمة، وإشاعة أدب الاختلاف، والارتباط بخلق المعرفة.

وفي تقديرنا أن السبيل إلى تحقيق ذلك إنما يتمحور حول إشاعة روح التخصص في شعب المعرفة المختلفة، وذلك بإحياء مفهوم الفروض الكفائية، لتحقيق التكامل والوصول إلى الاكتفاء الذاتي، والإفادة مما توصلت إليه تقانة الإعلام والاتصال، وحسن التعامل معها، لتصبح وسيلة لحمل رسالة الدين وإظهاره، والقيام بمهمة البلاغ المبين، وإعادة بناء المسلم المستعلي بإيمانه، القابل للنهوض على الرغم من حالة الانكسار، الذي يعي أبعاد الشخصية الحضارية الإسلامية، ويبصر نقاط الارتكاز الحضاري، ويستوعب خلود قيم الإسلام وقدرتها على الإنتاج المأمول في كل زمان ومكان، ويعيد للعقل مكانته في إطار هداية الوحي

ووظيفته وفاعليته في التفكير والاجتهاد لتنزيل قيم الوحي على واقع الناس.

وقد يكون من الأمور المطلوبة اليوم أكثر من أي وقت مضى، إعادة البناء للعقل القادر على الحوار والتفاعل مع الآخر للإفادة من المنجزات العالمية في إطار التبادل المعرفي تحت شعار: الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها، وامتلاك المعايير الدقيقة التي تمنحها معرفة الوحي لما يأخذه المسلم وما يرده من الإنتاج العالمي، والقدرة على التمييز بين الغزو الثقافي والتبادل المعرفي.

ذلك أن الدعوة إلى العولمة والحوار الثقافي ضمن استخدام وسائل الإعلام، التي تجاوزت الحدود والسدود والرقابات، تشكل فرصة تاريخية للمسلم الواعي لتقديم الإسلام، الذي يمتلك النص الإلهي السليم والتجربة الحضارية التاريخية، ويبرأ من التسلط والبغي والظلم، ويحقق كرامة الإنسان ويسترد به إنسانيته للعالم، والبصائر من حوله كثيرة، والبشائر موفورة بقوة الإسلام على الانتشار في أكثر المجتمعات تقدمًا وأكثرها تخلفًا في الوقت نفسه، وإلا كانت حالة التخاذل، التي تجعل المسلم محلاً لتلقي نفايات (الآخر) الفكرية والإباحية، لأنها الأقدر على التسلل

والأقرب إلى سهولة التقليد.

ولعل من الأمور الملفتة حقًا، على مستوى الأمة، أن القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين، وتعامل مع معهود العرب في الخطاب، هو أول كتاب يُكتب ويُقرأ ويُحفظ ويُتداول، ويُسجِّل الكثير من قصص الأنبياء وتاريخهم مع أقوامهم، كما يسجل مسيرة الدعوة الإسلامية والسيرة العملية لفترة التنزيل المعصومة، ويجيب عن الأسئلة الكبرى في الحياة، عن كيفية بدء الخلق، ثم كيف ينشئ الله النشأة الآخرة، ويتحدث عن أسباب السقوط والنهوض، ويبيِّن الأحكام الشرعية في مجال الفرد والأسرة والمجتمع والدولة، والسلم والحرب، وطبيعة العلاقات بين الأفراد والدول والشعوب والقبائل، ليشكل بذلك المنهل الذي يرده كل مسلم، ويستمد منه رؤيته للحياة وثقافته وكيفية تعامله مع الماضي والحاضر والمستقبل، ويرى من خلاله الحياة في آفاقها البعيدة، سواء نظر إلى الماضي أو تطلع للمستقبل.

ومن هذا القرآن، كتاب العربية الأول، الذي بدأ نزوله بطلب القراءة وفرضية التعلم، واعتبر ذلك مفتاح الحضارة، وسبيل المعرفة ووسيلة الثقافة، انطلقت الحركة العقلية واللسانية واللغوية -ففيه

بدأت القراءة وامتدت الكتابة- للأمة، فكان القرآن بما دعا إليه وما أصله وأسسه محور هذا الإنتاج الثقافي جميعه، ومدار الحركة الفكرية.

وقد يكون إعجاز القرآن البياني، والتحدي بالإتيان بمثله، من بعض الوجوه، نوعًا من التحريض العقلي والثقافي لإدراك أبعاد هذا الإعجاز، والتدليل على قدرة العربية على أن تتشكل منها معجزة، ببيان وجوه الإعجاز، ومحاولة محاكاته.

كما أنه يشير من جانب آخر إلى الطاقات الهائلة والمخزون الضخم الذي تمتلكه اللغة العربية، التي وسعت هذا القرآن بكل آفاقه وأبعاده، ضمن إطار أبجديتها ومرونتها وسعة مفرداتها وكثرة مترادفاتها التي تعبر عن أدق الحالات الشعورية المتداخلة والمتجاورة، وقدرتها على تقديم القيم التعبيرية لكل إحساسات الإنسان وقيمه الشعورية، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ١-٢)، ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ (الزخرف: ١-٣).

وهذه الحروف الأبجدية، تلفت النظر العقلي إلى أن آي

القرآن مصوغ من هذه الحروف، التي يستعملها العرب في معهودهم للخطاب دون زيادة عليها، ومع ذلك يعجزون عن الإتيان بمثل هذا القرآن.

ولا شك أن اختيار لغة للتنزيل لتكون لغة وحي الله أو لتكون خطاب الله إلى جميع البشر، التي يوكل حفظها وكتابتها وقراءتها وإقراؤها للأجيال من خلال عزمات البشر، يحمل من الأبعاد والفاعلية والعبر الشيء الكثير الذي يدعو للتأمل والنظر.

وإذا كان إنزال الوحي على محمد عليه الصلاة والسلام قد وصف بأنه مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه، وأن من بعض معاني الهيمنة المقصودة هنا: المعيارية، والرقابة، والشهادة، والتصويب، أدركنا بعض أبعاد كيف أن الرسول ﷺ وما جاء به من الكتاب والبيان النبوي (السنة) هو الشاهد والمعيار، وأن أمته التي آمنت به وتمثلت وحي الله، وكانت محل التنزيل والتطبيق، هي الشاهدة على الأمم، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ (البقرة:١٤٣)، وأن أرض التنزيل مكان قبلته هو وجهة الناس، وأن فهم وحيه ووسيلته العربية لغة التنزيل.

فالقرآن هو معيار التصويب والفهم لرسالات الأنبياء.. واللغة العربية هي معيار التصويب والفهم لكتاب الله، وما تمتلكه من الإمكانات يؤهلها للهيمنة على سائر اللغات.

وإذا كان الاختيار يعني التشريف والدلالة على شرف وقيمة ومكانة المختار، فإنه من وجه آخر يعني التكليف، ووجود الإمكانية والمؤهل للقيام بالمهمة، وحمل الأمانة، والقدرة على حسن أدائها. ذلك أن الاختيار لا يمكن أن يكون عبثًا أو عشوائيًا، فمصطلح الاختيار يعني النظر والمقارنة والبحث والموازنة بين المؤهلات والقدرات، ومدى ملاءمتها للمهمة، ومن ثم يكون حصول الاختيار.. فالاختيار إنما يكون لوجود المؤهل، إذ لا يمكن أن تختار للحمل الثقيل اليد الشلاء، وللأمور والمهمات الكبرى الهمة القعساء.. لذلك نقول: الاختيار هو تشريف، ودليل على مكانة المختار وعلو شرفه وإمكاناته، وهو تكليف أيضًا ودليل على مؤهلاته وقدراته لأداء المهمة.

وإذا كان ذلك كذلك، فإن اختيار اللغة العربية لتكون لغة الوحي الخاتم أو لغة التنزيل الخالد المجرد عن حدود الزمان والمكان، القادر على استيعاب التنزيل على الواقع واستيعاب الاجتهاد

والحركة العقلية في كل زمان ومكان، وتقديم الأوعية اللفظية أو القيم التعبيرية لكل القيم الشعورية حتى يرث الله الأرض وما عليها، دليل على الطاقات الهائلة والمؤهلات المطلقة التي تمتلكها العربية، فهي التي حملت وحي الله المطلق المجرد عن حدود الزمان والمكان ونسبية الزمان والمكان، الأمر الذي يدعونا للقول -والتاريخ الثقافي هو الشاهد-: بأن العجز، حتى ولو بدا لنا واضحًا في فترة الضعف والهبوط، إنما هو في الإنسان وليس في اللغة نفسها.

ولعلنا من هنا ندرك، ولو من بعض الوجوه، لماذا أُنزل القرآن بلسان عربي مبين، واعتمد العربية، وأنه لم يقم وزنًا لقضايا اللون والجنس والقوم، لكنه لم يتنازل عن قضية اللغة. وحسبنا أن نقول: بأن قضايا الجنس واللون والقوم هي أمور قسرية ليست من صنع الإنسان، كما أنها ليست من اختياره، ومن الظلم الرهيب اعتمادها سبيلاً للكرامة أو ميزانًا للكرامة والتمييز، أما أمر اللغة فهو أمر كسبي تعليمي وتعلمي بمقدور كل إنسان أن يحصله.

وقد لا تكون هذه القضية بحاجة إلى أي تدليل، فاللغة في مراحلها البدائية الأولى وحتى صورها الذهنية المجردة المتقدمة هي كسبية تعلمية، إضافة إلى أن غير العرب استطاعوا أن يتعلموا

العربية ويبدعوا ويؤلفوا فيها، ويبلغوا الذروة.. فالكثير من محتويات المكتبة الإسلامية واللغوية منها بشكل أخص، هي من إنتاج غير العرب.. الأمر الذي يؤكد أن الخطاب القرآني للعالمين الذي جاء بالعربية، استوعبه المخاطبون على اختلاف لغاتهم ولم يشكل لهم أية عقبة.

وقد لا نكون بحاجة إلى التأكيد على دور اللغة في بناء الأمة وصناعة وجدانها، وبناء ذاكرتها، وتكوين هويتها وثقافتها، وضمان تماسكها، وتواصل أجيالها، وتوسيع دائرة تفاهمها وتفاعلها، والمساهمة بتشكيل نمط تفكيرها، والتأثير في مسالكها وأخلاقها، وتحريكها، وتغيير واقعها، والإفادة من مخزونها التاريخي، وحماية رقعة تفكيرها من التبعثر والتفكك.

فاللغة في النهاية هي الترسانة الفكرية والثقافية، التي تبني الأمة، وتحمي كيانها، وتحافظ على شخصيتها.

ولذلك تعتبر اللغة هي المقوم الأساس لبناء الأمة وقيامها -على اختلاف الآراء حول عوامل تكوين الأمم- لأنها لغة التواصل والاتصال والصياغة لكل الأفكار، وتفعيل العوامل الأخرى.

وليس ذلك فحسب، وإنما هي المدخل الأخطر لبعثرة الأمة، والعبث بتراثها وتاريخها وذاكرتها، وعزلها عن تجاربها وماضيها وقيمها وشخصيتها الحضارية، ومحاولة تشكيلها من جديد في إطار معطيات لغة أخرى.. لذلك كان عزل اللغة والتهوين من شأنها، من أخطر مداخل الغزو الفكري والارتهان الثقافي.

لقد دلت الدراسات المتقدمة جداً من الناحية التربوية واللسانية، بأن السنوات الأولى من حياة المواليد لا بد أن تتمركز حول اللغة الأم، لأنه من خلال ألفاظها وأصواتها تتشكل الذهنية وتُبنى المرجعية، ويتحقق التواصل، وتكوَّن الحصانة، ويضمن سلامة السلم الصوتي.. وقد أوصل بعض العلماء ضرورة العكوف على اللغة الأم إلى اثني عشر عاماً، ثم يكون بعد ذلك تعلم اللغات الأخرى، لأن اللغة هي الوطن الحقيقي الذي يشكل الهوية والخصوصية، ويمنح الرؤية للحياة وفلسفة التعامل معها، وهي جماع الشخصية.

وقد تنبه لأمر اللغة الكثير من الدول، ففي إطار مواجهة فرنسا لغزو اللغة الإنجليزية، والانبهار بكل ما هو أمريكي، وشيوع لغة الاستهلاك، والإغراء بالعادات والأنماط والتسميات الأمريكية،

وحرصًا منها على هويتها وثقافتها، أصدرت عام ١٩٩٤م قانونًا باسم: «لزوم الفرنسية»، يحظر على الفرنسيين أن يستخدموا أي لغة أجنبية في خطابهم العام، مشيراً إلى كافة الوثائق والمستندات والإعلانات المسموعة والمرئية والأفلام الدعائية، التي تبث عبر الإذاعة والتلفزيون والمحلات التجارية و الشركات العاملة على الأرض الفرنسية.. ونص القانون على عقوبة مغلظة هي غرامة تصل إلى ألفي دولار، والسند في ذلك كما تقول ديباجة القانون: إن اللغة الفرنسية فيها من الألفاظ والمعاني ما يغني عن استخدام لغات أجنبية في الخطاب العام.

لكن إلى أي مدى يستطيع هذا القرار الصمود، في عصر العولمة، والهيمنة، وإلغاء الخصوصية الثقافية، التي تمثلها اللغة أدق تمثيل؟!

وفي محاضرة ألقاها في تونس قبل ما يقارب السنتين في ندوة موضوعها: «التطورات السياسية والاقتصادية والثقافية في العالم»، فسّر فيديريكو مايور مدير اليونسكو، التطور السياسي والاقتصادي لأمة من الأمم في ضوء عامل الثقافة، مشيراً إلى خطورة العولمة التي تتجه بقوة إلى صبغ العالم بثقافة واحدة ولغة

واحدة حتى تفقد الشعوب هويتها، وتنصهر في ثقافة العولمة..
وفي قمة الفرانكفونية التي انعقد مؤتمرها في هانوي بفيتنام، حذر الرئيس الفرنسي شيراك من محاولة سيطرة لغة واحدة وثقافة واحدة على العالم تطيح بخصوصيات ثقافات الشعوب. (انظر الأهرام: ٢٦/١٢/١٩٩٧م).

فاللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير أو أداة للتوصيل والتواصل والتفاهم، أي ليست وعاءً تصب فيه المعاني المراد نقلها، وإنما هي بالإضافة لهذا وعاء للتفكير وأداة للعمليات التفكيرية، إذ لا ينكر اليوم علاقة التعبير بالتفكير، والتفكير بالتعبير.

فالألفاظ واللغة بشكل عام هي مشحون حضاري وثقافي، ومخزون تراثي، وهي ظاهرة اجتماعية تاريخية تتطور وتنمو بتعدد وتنوع الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية، وأن تنمية اللغة وتطويرها هي قضية سياسية اجتماعية وإنتاجية، فعندما يتطور المجتمع حضارياً وإنتاجياً تتطور اللغة، وعندما يتقدم الفكر وتتقدم اللغة يتقدم المجتمع، فكثير من الألفاظ والمصطلحات تغيَّب في مرحلة ثقافية معينة وتبرز غيرها، لتتوافق وتتسع للمرحلة الثقافية.. كما أن اللغة كظاهرة

اجتماعية، تتشكل مصطلحاتها ومفهوماتها من خلال الأداء الاجتماعي والسياسي.

ولا أحد يشك في أن استخدام بعض المصطلحات بما تحمله من معان، والأمثال وما تختزله من مساحات ثقافية، والألفاظ والدلالات، تساهم إلى حد بعيد بالتغيير الاجتماعي والحضاري. فكثيراً ما تكون حالة الإنسان الثقافية والفكرية قبل قراءة كتاب غير ما تكون عليه بعد القراءة، وكثيراً ما كان لبعض الفتاوى والخطب والروايات والقصص والشعر وسائر فنون الأدب، مساهمة كبرى في الحراك الاجتماعي والثقافي والتغيير السياسي، وتشكيل المنعطفات التاريخية في حياة الأمم.

لذلك رتب الإسلام مسؤوليات كبرى على عملية الكلام، واعتبر الكلمة الطيبة صدقة، كما اعتبرها كالشجرة الطيبة المثمرة الممتد أثرها على الزمن في أبعاده الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل، فأصلها ثابت وفرعها ممتد، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وأن المسؤولية يوم القيامة سوف تتركز على القول وأثره في صناعة السلوك المستقيم أو المساهمة بالانحراف، قال تعالى:

﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (ق: ١٨).

يضاف إلى ذلك أن اللغة مرآة نفسية، وأوضح نوافذ ووسائل الاستبطان النفسي، الذي في ضوئه يمارس الإنسان أنشطته وعلاقاته مع بني جنسه في المجالات المتعددة.

فاللغة من الناحية الثقافية، وعاء تفكير وأداة تعبير.. واللغة هي الثقافة.. واللغة هي التنمية.. واللغة هي الوطن والأمة، وإحدى مقومات نسيجها الاجتماعي وبنائها الثقافي.

لذلك اعتبر كثير من العلماء أن العروبة اللسان، وأن الكلام بغيرها لغير حاجة يخشى أن يورث النفاق، قال رسول الله ﷺ: «**من يحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالعجمية فإنه يورث النفاق**» (أخرجه الحاكم في المستدرك). وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: إن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون (اقتضاء الصراط المستقيم).

وكره الشافعي لمن يعرف العربية أن يتكلم بغيرها، أو يتكلم بها خالطًا لها بالعجمية، وكان يؤكد على أن كل من يقدر على تعلم العربية فإنه ينبغي عليه أن يتعلمها، لأنها اللسان الأولى بأن يكون مرغوبًا فيه.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يرى أن الطريق الحسن في ذلك

هو «اعتياد الخطاب بالعربية، حتى يتلقنها الصغار في المكاتب وفي الدور فيظهر شعار الإسلام وأهله، ويكون ذلك أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسنة وكلام السلف، بخلاف من اعتاد لغة ثم أراد أن ينتقل إلى أخرى فإنه يصعب».

ومن الجدير بالتنبه، تلك الرؤية الدقيقة والمبكرة لأثر اللغة ودورها في التفكير وصياغة الشخصية عند الإمام ابن تيمية رحمه الله، حيث يقول: «إن اعتياد اللغة يؤثر في العقل، والخلق، والدين، تأثيرًا قويًا بيِّنًا، ويؤثر أيضًا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق».

ويؤكد على أن «نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب».

وقد «... كتب عمر إلى أبي موسى رضي الله عنه: «أما بعد: فتفقهوا في السنة، وتفقهوا في العربية، وأعربوا القرآن، فإنه عربي». وفي حديث آخر عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «تعلموا العربية فإنها من دينكم، وتعلموا الفرائض فإنها من

دينكم » . . وهذا الذي أمر به عمر رضي الله عنه من فقه العربية وفقه الشريعة، يجمع ما يحتاج إليه، لأن الدين فيه أقوال وأعمال، ففقه العربية هو الطريق إلى فقه أقواله، وفقه السنة هو فقه أعماله » (انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. ناصر العقل، ج١).

إن التأكيد على اللغة العربية وتعلمها هو الذي حفظ هوية الأمة المسلمة وكيانها في الكثير من البلاد الإسلامية المُستَعْمَرة، مثل الجزائر وغيرها . . وإن الدعوة لغير العربية، ومحاولة إحياء اللهجات العامية أو اللغات واللهجات القديمة، ترافقت تاريخيًا مع التحرك الشعوبي والعمالة الثقافية، في محاولة للكيد للعروبة والإسلام، وعزل النص الديني عن عقل وحس وسلوك الأمة المسلمة.

ولعل من حسنات التيارات والاتجاهات القومية العربية، أنها اعتبرت اللغة العربية الفصحى هي إحدى مقومات وجود الأمة العربية، ودافعت عنها، ومكنت لها في معاهد ومؤسسات التعليم، فأدت بذلك دورًا إيجابيًا غير مغموط في حفظ كيان الأمة وضمان امتدادها واستمرارها، لأن المستعمر بدأ

خطواته باتجــاه القـضـاء على كـيـان الأمـة بفـرض لغتـه وثقـافـتـه وعاداته ومبادئه.

وقد يكون من أخطر الدعوات المعاصرة، التي بدأت تشكل قناعـات مـزيفـة، وتتـسلل إلى مـعـاهدنا ومـؤسـسـاتنا العلمـيـة والإعلاميـة، ونحن نعاني من التخاذل والتراجع الحضاري، وذلك عندما عجز أعداء اللغة عن مدافعتها وتجاوزها، محاولة التفريق بين لغة العلم ولغة الدين، بحيث لا تُلغى العربية، حتى لا تستفز الأمة وتشعرها بالتحدي، وإنما تفصل عن حياة المجتمع، كلون من التطبيق العلماني في مجال اللغة، التي تحمل قيم الدين ومقاصده ودلالاتــه، حيــث تحاصـر في (المعــابـد) لتكون لغـة العبــادة، مثل الآرامية، والسريانية القديمة التي تقتصر على رجـال الدين أو المتخصصين.

•فاللغـة العربية –لغة التنزيل– دون غـيـرها من لغات الدنيا، مشـبعة بالمعاني والدلالات الشرعيـة التي تؤكد على شمـوليـة الإسلام، وتنظيـمـه لجـميع شؤون الحياة، وأن عزلها عن الحياة أو فصلها عن الحياة، وطردها إلى (المعابد)، واقتصارها على رجال الدين، يجعل التدين نوعًا من العطالة والتسليم غير العاقل وغير

المفهوم، وبذلك يتم إشباع التطلع الديني بلون من التدين المغشوش، الذي لا يسمن ولا يغني من جوع... لأن لغة العلم والمصادر والمراجع والتكنولوجيا هي اللغة الإنجليزية أو غير العربية، وبذلك تتسلل اللغات الأخرى بمفرداتها ومدلولاتها ومصطلحاتها وفلسفة حياة أهلها إلى احتلال لسان الأمة وعقلها وقلبها.

وهذه الذريعة الخطيرة، ساهمت إلى حد بعيد ولا تزال، برفع العربية من المعاهد والجامعات، ونسبة العجز لها وليس لتخاذل أهلها وتخلفهم، وهذا لون من التفكير الذرائعي الذي يأتي ثمرة لحياة التخلف وفلسفة العجز.. وأصحاب هذا الاتجاه ما يزالون أكثر عجزاً، لأنهم يعيشون على إنتاج (الآخر)، ورضوا لأنفسهم أن يكونوا في موقع التلقي، فلا هم احتفظوا بذاتهم وفكروا بتطويرها، ولا هم خرجوا عن طور التقليد (للآخر)، فخسروا أنفسهم قبل أن يخسروا لغتهم، أو خسروا أنفسهم بخسارة لغتهم.

ولا نرى أننا بحاجة إلى التذكير بأن الكثير من الأمم المتقدمة اليوم، حققت سبقًا بالعلم والتكنولوجيا والعلوم الإنسانية من خلال لغاتها الوطنية، ذلك أن من أخطر إصابات الأمة أن يكون

تعليمها بغير لغتها، وتفكيرها بغير أدواتها، وقياس حاضرها على أصول حضارية غريبة عنها.

لذلك بدأت الكثير من الجهات المشبوهة تنسب إلى العربية صفات التقعر والجمود، وصعوبة التعلم، وصعوبة الكتابة، والعجز عن الاستيعاب، وتتهمها بإيجاد الحواجز النفسية بينها وبين الجمهور، وبذلك يفسح المجال للعامية والأجنبية وكل ما هو غريب وهجين على حياة الأمة وامتدادها، باسم التمدن والتقدم والمواكبة والعولمة، وما إلى ذلك من المصطلحات الخادعة، علمًا بأن الإنسان إذا فقد ذاته، لم يعد موجوداً ولا مؤهلاً للتعامل مع هذا جميعه.

ولا بد من الاعتراف، أنه على الرغم من الانحياز العاطفي للغة العربية، ومحاولات الدفاع عنها، وأنها لغة التنزيل، إلا أن الملفت هذا التخاذل عن تطوير خدمتها وتقنية توصيلها بالشكل المطلوب المتوازي معها.

ولو ألقينا نظرة متأملة لمجموعة البرامج والوسائل وتقنيات الصوت واللون والأسلوب والوسائل المرئية والمسموعة والمكتوبة، التي تحظى بها اللغات اليوم، ومحاولة الوصول بها إلى العالمية،

وإثارة الإغراء بها، ونظرنا إلى الحواجز التي تقام لمحاصرة العربية من أبنائها، وكيف أن مجامع اللغة أصبحت أشبه بخيام معزولة تعاني الكثير من غربة الزمان، والقطيعة مع الواقع الثقافي واللغوي، والسير وراءه بدل تقدمه، أدركنا عظم البلاء الذي لحق بالعربية على يد إبنائها، حتى المتحمسين لها، لأن الحماس هنا لا يفيد أكثر من شحذ الفاعلية التي تتضاءل إذا لم تتوفر لها الاختصاصات المطلوبة والخبرات الضرورية.

وأكثر من ذلك، فإن (الآخر) المتحكم بالعالم اليوم، أصبح بما يطرح من اهتمامات وأفكار، قادراً على توجيه اللغة العربية نفسها، وتحويل مصطلحاتها إلى الوجهة التي يريد، وأصبح بإمكانه تغييب بعض المفردات والمصطلحات، واستدعاء أخرى لتملأ الذهنية الثقافية العربية الإسلامية، ويمكن أن تتسرب إليها بعض المدلولات الإضافية التي تخدم ثقافته وتمهد لتشربها من خلال اللغة العربية، ولولا القرآن الكريم لأصبحت العربية على يد أبنائها أثراً بعد عين.

والعجيب أن الكثير من مؤسسات العمل الإسلامي والدعوي، بمختلف مواقعها، لم تدرك العواقب البعيدة لعدم

خدمة اللغة بالشكل المطلوب، وتسهيل تعلمها للناطقين بها ولغير الناطقين بها على السواء، إما بسبب المدافعات المستمرة والمواجهات التي تفرض عليها، والتي لم تتح لها الوقت الكافي للتأمل والتحقق بالرؤية الاستراتيجية، أو لبطء المردود على المستوى الحزبي والسياسي، الشأن في ذلك شأن التربية، أو لأن رؤية موقع العمل الجدي واعتلاء المنبر الفاعل يحمل الكثير من الغبش والاستعجال.

لذلك نعتقد أن الكثير من مؤسسات العمل الإسلامي حاصرت نفسها أكثر من محاصرة أعدائها لها، كما أنها وبسبب من التحزب الممقوت أو التفسير الحزبي للإسلام، تركت هذا الفضاء الكبير للعمل الإسلامي، ولم تبصر إلا موقعًا واحدًا ما تزال تكرره وتقدم الضحايا في محرقته، على الرغم من غياب الجدوى وضياع الأعمار.

ونظرة واحدة إلى المكتبة العربية الإسلامية أو المكتبة العامة، كافية لبيان الفقر الرهيب في تقنيات تعليم العربية، والزخم الكبير في توصيل غيرها من اللغات الأجنبية، مما ينبئ عن حال

القوى التي تحكم العالم، وتحتل المكتبات، سواء في إطار النشر الثقافي أو في إطار خدمات اللغة.

ولعلنا نقول هنا: إن الدعوة للتعريب والترجمة، والاستغناء بها عن الإنتاج بالعربية، على الرغم من بعض فوائده، إلا أنه يشبه إلى حد بعيد الدعوة إلى أسلمة العلوم المنتجة من (الآخر)، المشبعة بثقافته وفلسفته وعقيدته.. فقد يصلح التعريب والترجمة لمرحلة، لكنه في نهاية المطاف الجسر الذي تمر من خلاله الثقافات والفلسفات الأخرى إلينا، وتجعلنا في موطن التلقي والتقليد وتكريس التخلف.

وهذه الدعوة المحذرة من الارتماء، لا تعني بحال من الأحوال الانكفاء، وإنما تعنى استعادة الذات اللغوية والثقافية القادرة على التعرف على الحكمة لتصبح الأحق بالاستفادة منها.. أما الأمة العاجزة لغويًا وثقافيًا -واللغة هي الثقافة- فهي الأكثر عجزًا عن إدراك ما تأخذ وما تدع، وما يشكل حكمة وما يعتبر ضلالة.

وقد تكون المشكلة في شيوع فلسفات الهزيمة والعجز والتخلف ومسوغاتها، لذلك فبدل أن تتحول الهزيمة إلى استفزاز

وتحد وشحذ للفاعلية، تجمع طاقات الأمة وتشعرها بالخطر وتدفعها إلى النهوض، تصبح وسيلة للركود والتقليد والاطمئنان المغشوش. وبدل أن تترجم معطيات عقيدتنا وثقافتنا إلى اللغات الأجنبية الأخرى، لنشر الإسلام ومخاطبة الناس بلسانهم، لإلحاق الرحمة بهم، واستنقاذهم من ضلالاتهم، وتقديم الإسلام على أنه دين الله للإنسان وليس دين العرب ولا غيرهم، أصبحنا نترجم ثقافات وفلسفات (الآخرين)، ونعربها ونصبها فوق رؤوس قومنا.

وكم كانت النتائج ملفتة وكبيرة لو أننا ترجمنا الإسلام إلى لغات الأمم الأخرى بدل أن نترجم فلسفات اليونان والرومان في القرون السابقة إلى العربية، وندخل الأمة في أنفاق من الجدل الكلامي أدى إلى تقطيع أوصالها وبعثرة تفكيرها.. فالترجمة والتعريب التي لم تدرس مضموناتها وجدواها بدقة، سوف تتحول إلى جسور لعبور الغزو الثقافي.

ومن مظاهر فلسفة العجز والتخاذل والهزيمة وإيجاد المشروعية لذلك، محاولة التفريق بين التفكير والتعبير، وعدم القدرة على

إدراك الصلة والتلازم بين التعبير والتفكير، وأن التعبير أداة التفكير ووعاؤه، وأن التفكير يتشكل ويتطور وينمو من خلال دلالات التعبير ومصطلحاته، وبحسب الإنسان تخلفًا ألا يدرك هذه العلاقة من أثر التعبير في التغيير والتفكير، والأبعاد النفسية لعلاقة اللغة بصياغة الشخصية وبنائها الفكري، لأن اللغة أهم مصادر التشكيل الثقافي، كما أسلفنا.

وقد لا نستغرب أن يوجد على ساحة العمل الإسلامي اليوم من يقوم بهذا التفريق، ويقول: المهم أن يكون التفكير إسلاميًا، أما التعبير فيمكن أن يكون بأية لغة، ويكتفي من العربية بأن يحفظ بعض السور القصار من القرآن ليؤدي بها الصلاة، ويخرج من عهدة التكليف -في ظنه-، أما فيما وراء ذلك فكل مصادر تشكيله الثقافي يتحصل من غير العربية!

ولا أدري كيف يكون التفكير إسلاميًا وكيف يصاغ ذلك التفكير مع فقدان وسيلته وأداته العربية؟! ذلك أن المعروف أن الترجمات تُفقد النص الكثير من المعاني وتضيعها في المسافة بين الكاتب والمترجم، وأن الفهم الصحيح والسليم لأي نص

لا يتحقق ولا يحتج به ما لم يتم من خلال اللغة التي كتب فيها النص، لذلك نصَّ القرآن الكريم على أنه بلسان عربي مبين، وبذلك لا يُدرك إلا من خلال معهود العرب في الخطاب، وأنه لا يجوز ترجمة ألفاظه وإنما تترجم المعاني، وأن الترجمة لا تسمى قرآنًا.

هذا علاوة عن أن اللغة العربية تمتلك من الطاقات والإمكانات ومخزون الألفاظ المترادفات ما يستطيع التعبير عن أدق الأحاسيس وأبسطها.. وحسبنا أن نقول: بأن الإعجاز البياني بها ملفت من بعض الوجوه إلى هذه الإمكانية الكبيرة.

إضافة إلى أن تعلم أصواتها يمنح السلم الصوتي للإنسان مرونة عجيبة تجعله يستطيع النطق بأي حرف أو تركيب لغوي عربي أو غير عربي، فهي تستخدم جميع أجزاء السلم الصوتي للإنسان على عكس اللغات الأخرى.. فالناطق بالعربية لا يعاني من احتباس اللفظ أيًا كان، ولا من العجز عن التعبير عنّ أي معنى مهما دق أو جل.

وباعتبار أن الكثير من بني قومنا أصبحوا لا يقتنعون إلا

بدراسات وبحوث (الآخر)، ننقل لهم هذه الشهادة:

تذكر الباحثة سهير أحمد السكري اختصاصية اللغويات في جامعة جورج تاون، واشنطن، قصة مثيرة ذكرها الكاتب الإنجليزي E.H.Janser في كتابه: الإسلام المقاتل، يقول: إن إنجلترا وفرنسا قد أجرتا بحوثًا عن أسباب قوة وصلابة الإنسان العربي، وتمكنه من فتح البلاد المحيطة به من الهند إلى تخوم الصين... فوجدتا أن السر في ذلك كان طريقة تعليم الطفل العربي، وكيف أنه بدأ قبل الخامسة بحفظ القرآن وختمه، وهو الكتاب الجامع لأفصح التراكيب اللغوية وأجمل الصيغ البلاغية التي تنطبع في الذاكرة، فلا تزول، مما يحميه من الوقوع في مرض الازدواج اللغوي، وهو الضياع بين لغتين عامية وفصحى، لا يتقن إحداهما.. كما يعطيه القرآن طاقة نضالية، وصلابة خلقية، وزخمًا إيمانيًا، وصلة بالغيب، لا تتخلى عنه طوال عمره، فهو يشعر دائمًا أنه ليس وحده وإنما يوقن بأن الله معه...

(انظر: الأهرام، ٢٨نوفمبر ١٩٩٨م).

وقد لا يكون المجال متاحًا للكلام عن الإنتاج العلمي والثقافي

الذي أحدثه القرآن في حياة الأمة المسلمة، والعلوم والمعاجم والقواعد اللغوية والنحوية، التي ألفت لحماية النص القرآني من التحريف والتصحيف، وبذلك حفظ لفظه ومعناه.. وليس هذا فقط، وإنما حفظ ونقل رسمه أيضًا، فكان بذلك كتابًا منقولاً بالكتابة والرسم، وكان أيضًا قرآنًا منقولاً بالمشافهة، وكانت المحاريب وحلقات الذكر والمدارسة ومراكز التحفيظ وفنيات الخط العربي، كفيلة بسلامة نقله كتابة وقراءة ومشافهة كما أنزل على قلب محمد عليه الصلاة والسلام، وهذا ما يزال الرصيد الباقي والخالد للأمة، الذي يشكل لها الإمكان الحضاري والرصيد الثقافي، حتى إن بعض الشعوب الإسلامية أعادت كتابة ألفاظ لغتها بالحرف العربي تبركًا به.

وخلود القرآن واستمراره رسمًا ومشافهة، كان الوسيلة الوحيدة لاستمرار التواصل مع التراث، والقدرة على قراءته وإدراك معطياته، كما كان الوسيلة الأساس لتطور اللغة العربية ضمن ضوابط سليمة تسمح للمتعلم اليوم أن يقرأ الإنتاج الفكري والثقافي في كل العصور الإسلامية.

وهذا التطور الطبيعي وعدم الانفلات اللغوي، أدى إلى التماسك في نسيج الأمة الثقافي، وتواصل أجيالها، وبذلك أصبحت اللغة العربية ليست مجرد وسيلة للتعبير، لكنها مشحونات لتراثٍ من الفكر والثقافة والقيم، والتراكمات من التجارب والخبرات، بين ماض عريق وصولاً إلى واقع نعيشه وغد نأمله.

فاللغة تبقى من أهم مقومات الارتكاز الحضاري وامتلاك القدرة على رسم ملامح الشخصية الحضارية للأمة، وبيان قسماتها، والتعبير عن ثقافتها، وتأمين تواصلها مع الأجيال، وإيصالها (للآخر).. ويتوقف نجاحها في ذلك على مدى قدرتها على استيعاب حركة المجتمع ونمو الثقافة، وحمل رسالة الأمة إلى (الآخر).

لذلك فإن محاربة الرسم العربي، ومحاولات إشاعة العاميات، وبدء زحفها على وسائل الإعلام والتعليم من خلال الرطانات اللغوية والتكسرات الجسدية والتبذلات اللسانية التي بدأت تمارسها بعض المحطات الفضائية، ومحاولة الإغراء بها من خلال

اختيار المقدمين والمقدمات للبرامج، وإدخال بعض المصطلحات الأجنبية، وبالمقابل ما يتم من الحديث بالفصحى، حيث تُختار له الألفاظ الموحشة غير المأنوسة، والمقدِّم المتجهم، البعيد عن روح العصر، وكأنه قادم من عمق التاريخ، يعاني غربة الزمان والمكان، يحمل المخاطر الكبيرة التي لا يمكن تحديد مداها في جيل أو جيلين.. كما أن المحاولات الدائبة للكتابة بغير الألفاظ العربية، يمثل أخطر قطيعة بين الأمة وتراثها، وبذلك تُلغى ذاكرتها وتبعثر شخصيتها.

والكتاب الذي نقدمه اليوم، يشكل محاولة جادة لمناقشة مشكلة تعتبر من أخطر المشكلات، التي تتعرض لها الكتابة العربية، بعد أن اتسعت فجوة التخلف في عالم العرب والمسلمين، وما رافق ذلك من التطور الهائل لتقنيات الكتابة والاتصال، والدعوة العريضة إلى ضرورة استبدال الحروف الأجنبية بالكتابة العربية، الأمر الذي يعني أول ما يعني إحداث القطيعة مع القرآن الكريم والسنة النبوية والتراث التاريخي للأمة المسلمة، ومسح ذاكرتها، بحجة أن تعلم الكتابة العربية ورسمها وحروفها

صعب، قياساً ومقارنة بالكتابة بالحروف الأجنبية.

والباحث حاول تفنيد المآخذ المنسوبة إلى العربية، وعقد مقارنة متخصصة مع الفرنسية والإنجليزية، مبرزاً النقائص والمزالق الموجودة في أشهر لغات العالم المعاصر اليوم.

وتأتي ميزة الكتاب في أنه ركز على مناقشة الأفكار لا الأشخاص، وحاول التفريق بين مناقشة القيمة «الفكرة» بعيداً عن الذات، مبيناً أن دعاة التغيير لم يكونوا موضوعيين في عرضهم الحقائق.. إضافة إلى أن الباحث تمكن من عرض النقاط الفنية المتخصصة بأسلوب سهل واضح، ليصل إلى أكبر عدد ممكن من القراء.

والله نسأل أن ينفع به، ويجزي المؤلف خير الجزاء على دفاعه عن رسم القرآن ولغة القرآن.

والحمد لله رب العالمين.

مقدمة

واجهت اللغة العربية، التي شرُفت بحمل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ودُوّنت بها ملايين الصفحات التي تنطق بالعلم والمعرفة والحكمة، في ميادين الأدب والتاريخ والفلسفة والطب والرياضيات وغير ذلك، أقول: واجهت في العقود الماضية مخاطر جسيمة تمثلت في الطعن بها والغمز من قناتها، فهذا يدعو إلى اقتلاعها وقبرها وإحلال العامية محلها، وذاك ينادي بأن الإعراب فيها قصة اختلقها النحاة، وثالث يزعم أن العربية تسبب عقداً نفسية عند العرب!

ولم تنج الكتابة العربية من هذا السيل العرم، فعملت المعاول على ثلبها، والإشارة إلى معايبها، وضرورة استبدالها بكتابة أخرى.

يهدف هذا الكتاب إلى تناول هذه المسألة الأخيرة بالدرس والنقاش؛ فهو يحاول تمحيص الحجج والأسس التي استند إليها الداعون إلى تغيير الكتابة العربية.

فالكتاب، إذاً، محاولة للإجابة عن سؤالين:

الأول: هل الكتابة العربية معيبة فعلاً قياساً بالكتابات الأخرى؟ وإذا كانت هناك عيوب، فهل تنفرد الكتابة العربية بها؟

الثاني : ما مكانة الكتابة العربية موازنة بالكتابات الموجودة؟

وإذا كان السؤال الأول قد سئل، وكثرت الإجابة بالإيجاب، فإن السؤال الثاني لم يبحث، على قدر ما أعلم.

وقد قسمنا الكتاب إلى ثلاثة فصول وحاشية.

تناول الفصل الأول التمهيد لبعض مشكلات الكتابة، والفروق بينها وبين الكلام، وأنواع النظم الكتابية.

وكان الفصل الثاني مخصصًا لـ «المآخذ المنسوبة إلى الكتابة العربية ومناقشتها»، عرضنا فيه حجج المنتقدين أولاً، ثم عقبنا ذلك بمناقشتها حجة حجة، وتبع ذلك إشارة إلى نواقص في الكتابتين الفرنسية والإنجليزية، كي تتضح للقارئ حقيقة المزالق الموجودة في اثنتين من أشهر اللغات في العالم المعاصر. علاوة على أن هاتين اللغتين خاصة، كانتا مبعثًا للإعجاب ومن ثم انتقاص الكتابة العربية.

وكرسنا الفصل الثالث لدراسة «مزايا الكتابة العربية ومكانتها»، أظهرنا فيه المزايا الذاتية للكتابة العربية، وأجرينا بعد ذلك مفاضلة بين الكتابة العربية وكتابات تضاهيها في عراقتها.

أما الحاشية، فأشرنا فيها إلى الدواعي التي استخدمت أسبابًا لتبديل الكتابة التركية من الحروف العربية إلى الحروف اللاتينية،

خاصة أن ذلك التبديل كان محفزاً لبعض العرب (وغير العرب الآن) في دعوتهم إلى إلغاء الكتابة العربية .

حاول الكتاب، في معالجته، مراعاة المنهجية الآتية :

أولاً : إن الكتاب يناقش الأفكار، لا الأشخاص، ولا النوايا، ولا الأهداف التي رمى إليها دعاة التغيير، ولم يكن مدعاة ذلك إيماننا بأن دعاة تغيير الكتابة العربية مبرأون جميعًا في الطوية والأغراض، ولكن لأن باحثين آخرين تكفلوا بتبيان هذا الجانب . وقد أهملنا للسبب نفسه، وبغية عدم إطالة الكتاب، تاريخ تلك الدعوات . فالمهم في هذا الكتاب ما قيل، لا صاحب القول، ولا مكان أو زمان قوله .

ثانيًا : لم يشر الكتاب إلى « الحلول » التي تقدم بها أصحابها، لاعتقادنا أن المشكلة مفتعلة في جانب، مبالغ فيها من جانب آخر .

ثالثًا : يخاطب هذا الكتاب القارئ المخلص، أي : مَنْ يقيم رأيه (أو يتخلى عنه) بناء على وجاهة الحجة، وسلامة المنطق، لا ذاك الذي تصلبت في رأسه الفكرة، سواء أتوفَّر الدليل أم انعدم . كما يخاطب القارئ المتمسك بكتابته العربية ولكن الدليل قد يعوزه .

وقد لايتفق القارئ مع النتيجة التي توصلت إليها فيما يخص مكانة الكتابة العربية، ولكنه سيدرك في الأقل، أن دعاة التغيير

لم يكونوا موضوعيين في عرضهم للحقائق. وإذا كان هذا القارئ المخلص من دعاة التغيير، فسيجد في الحقائق التي عرضتها (لا آرائي)، مادة للتفكير وإعادة النظر.

رابعًا: عمد الكتاب، في معظم الحالات، إلى مناقشة المسائل بـ «منطق بارد» في مقارعة الحجة بالحجة، والدليل بالدليل. وهو المنطق نفسه الذي يستخدمه كثير من دعاة التغيير، متهمين خصومهم بالابتعاد عن «العلمية» والموضوعية.

خامسًا: وضع الكتاب نصب عينيه، عند معالجته لنقاط فنية متخصصة معينة، القارئ العادي، أو القارئ المتخصص في اللغة العربية بيد أنه غير ملم بالمفاهيم اللغوية الحديثة.

ولذلك عرضت تلك النقاط عرضًا واضحاً لا يقف حائلاً دون فهم الكتاب أو المضي في قراءته.

أصل هذا الكتاب محاضرة عامة كنت قد ألقيتها في كلية الآداب، جامعة الموصل، احتفالاً بيوم الضاد، سنة ١٩٩٢م. وقد ارتأيت توسيعها، ومناقشة كثير من المسائل التي اضطررت إلى إغفالها تقيداً بالوقت المعهود للمحاضرة.

آمل أن يكون ذا نفع، والله من وراء القصد.

الفصل الأول

الكتابة: بعض مشاكلها ونُظُمُها

قد لا يتيسر للمرء أن يحصر في صفحات قليلة (أو حتى كثيرة) أهمية الكلام وخطورته في حياة الإنسان. فحياتنا، في الواقع، «مملوءة» بالكلام. فكم حرب أو خصومة قامت بسبب الكلام، وكم صداقة ومودة بنيت على الكلام.. فبالكلام ننقل خبراتنا وتجاربنا وأحاسيسنا إلى الآخرين، ومنهم نتعلم ونستفيد. ولو أحصى المرء مقدار الكلام الذي يصدره أو يسمعه كل يوم، لهاله كيف أنه يغرق، إذا صح التعبير، في بحر من الكلام.

لقد رافقت هذه الموهبة التي حبا الله بها الإنسان، رافقته منذ وجوده، بحيث إن واحداً من التعريفات المشهورة للإنسان هو أنه «حيوان ناطق»، فجعل أهل المنطق الكلام فيصلاً (أو فصلاً) بين الإنسان وغيره. وعلى هذا لم نسمع بمجتمع بشري من الخرس.

يتسم الكلام بسمة أخرى، غير شيوعه وانتشاره بين بني

البشر، وهي أنه يأتي إلى الإنسان متدرجًا، من غير أن يحتاج إلى دراسة منظمة منهجية لتعلمه. ومن هنا كان الكلام طبيعياً.

فضلاً عن ذلك، يخترق الكلام حواجز الظلمة، والمسافة المكانية، فبإمكانك أن تحادث شخصًا في الظلام وهو يقف على بعد عشرة أمتار أو أكثر.

والخاصية المهمة التي يمكن أن نلاحظها، إن في الكلام خصوبة ودلالات قد نفقدها أو لا نحس بها إذا ما نقل الكلام بأسلوب آخر، كالكتابة.. فتعابير الوجه، وارتفاع الصوت، ولحن الكلام، والتشديد على لفظة دون أخرى.. إلخ، هذه الأمور كلها قد تتوارى فيما إذا كان الشخص بعيداً عن المتكلم، لا يراه ولا يسمعه.

ولتوضيح هذه المسألة الأخيرة، دعنا نتأمل في جملة جلية المظهر، غامضة في معناها الحقيقي. فإذا قلنا: محمد يحب العلم، فقد يتبادر إلى الذهن أن معنى هذه الجملة لا يحتاج إلى تفسير أو شرح. غير أن أدنى نظر فيها يكشف عن وجوه متعددة، وأوجه مختلفة تحملها، فمن الممكن أن تقال تلك

الجملة سخرية (بمعنى أن هذا الرجل هو آخر من يحب العلم)، أو استفسارًا، أو بمعنى أن محمدًا « يحب » العلم فعلاً، وليس كبعض زملائه الذين يؤدون واجبًا، وقد تؤكِّد كلمة « العلم » بمعنى أن محمدًا يحب العلم، لا المال مثلاً . . .إلخ.

ولو كتبنا الجملة السابقة، وحاولنا أن نستشف معناها من غير أن نسمعها، فسنجد أنها هيكل يكاد يخلو من الحياة، قياسًا بطريقة نطقها. ولهذا نجد القصاصين والأدباء إذا ما ذكروا جملاً على لسان شخصياتهم، يزيدون بعد الجمل كلامًا تفسيريًا، مثل: قالها (أي الجملة أو العبارة) ساخرًا، أو « سأل مندهشًا » أو « مستهجنًا » أو « بريبة » . . . إلخ.

يقودنا الكلام السابق إلى واحد من الفروقات بين الكتابة والكلام[1]. فالكلام حي، خصب، في حين أن الكتابة حروف وهياكل. وتحتاج الكتابة إلى دربة ودراسة، قد تستغرق سنوات،

(١) للاستزادة من موضوع الفروق بين الكلام والكتابة، انظر:

– علم اللسان، د. رضوان القضماني، ط١، دار الكتاب الحديث، بيروت، ١٩٨٤م، ص١١٧ فما بعدها.

– أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة د. أحمد مختار عمر، ط٢، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٣٨-٤٢.

في حين أننا لم نحس بتلك الحاجة إلى تعلم الكلام، فكأنّ الأخير جاء إلينا فطرةً وسليقة.

نستطيع أن نتفهم، لما سبق، كيف أن شعوبًا برمتها عاشت وانقرضت وهي لا تعرف الكتابة، ولكنها لم تفتقر إلى الكلام..

وقد جاء اختراع الكتابة في معظمه نقلاً للكلام من الميدان المسموع إلى الميدان المنظور. فهو نقل ما هو سمعي إلى بصري. فالكلام هو الأصل، مكانةً وزمنًا[1].

ولا أظن أننا في حاجة إلى التوسع في ذكر أهمية الكتابة وخطورتها في حياتنا. فبوساطتها أمكننا قراءة الكتب السماوية، والأحاديث الشريفة، وتاريخ أناس سبقونا بآلاف السنين. وها نحن نقرأ الجاحظ وكأنه بيننا، ونتعلم من الخليل ابن أحمد، وابن قتيبة، والطبري وغيرهم كُثْر. علاوة على اطلاعنا على آخر البحوث والدراسات في ميادين العلم المختلفة. وليس جزافًا تقسيم المؤرخين لتاريخ البشرية إلى قسمين: ما قبل

---

(١) ولهذا السبب يفضل بعض الألسنيين دراسة اللغة على أنها كلام لا كتابة. انظر في ذلك:

- مبادئ ألسنية عامة، أندريه مارتينيه، ترجمة: ريمون رزق الله، ط١، دار الحداثة، بيروت، ١٩٩٠م، ص ١١-١٢.

التاريخ، وهو الذي سبق الكتابة والتدوين، والتاريخ الذي جاء بمجيئها. وما زلنا حتى هذه اللحظة، نضفي على الوثيقة المدونة قيمة قانونية لا ينالها الكلام المنطوق.

وههنا مسألة ترد الذهن، وهي العلاقة بين الكتابة والكلام المنطوق. فقد بدأت الكتابة في معظمها، كما قلنا، أو في تطورها اللاحق تجسيداً بصريًا للكلام، غير أن هذا القول على صحته عام، فهل تجسد الكتابة الأصوات المفردة للكلام، أم مقاطعه أم الفكرة التي يحتويها؟ (وهذا ما ستتناوله الفقرة الآتية عن نظم الكتا بة).

وإذا كانت الكتابة تنقل المسموع إلى مرئي، فهل تنقله بأمانة؟ وإذا ما صيغ السؤال صياغة أخرى، فنستطيع أن نتساءل عما إذا كان بالإمكان استعادة الكلام الأصلي برجوعنا إلى «النسخة» المكتوبة؟

وإذا كانت الكتابة أمينة، فهل تظل أمينة في نقلها للكلام على مر الدهور والأزمان؟ ذلك أن من المعروف أن الكتابة تتسم بقدر كبير من الثبات، في حين تتغير لغة الناس المنطوقة من

حين لآخر، ومن هنا جاء القول المشهور: الكتابة رجعية، والكلام تقدمي.

للكتابة إذاً مزلاتها وعيوبها، وقد أشرنا إلى أنها تفتقر إلى الخصوبة والحيوية الموجودتين في الكلام المنطوق. فضلاً عن ذلك نجد كثيراً من الكتابات لم تعد تعبر تعبيراً أميناً عن أصوات لغاتها. فإذا كانت الكتابة الفرنسية تعبر عن النطق الفرنسي قبل أربعة أو خمسة قرون، فإنها لم تعد كذلك الآن(١).

نخلص من ذلك كله إلى أننا إزاء نوعين من مشكلات الكتابة: نوع عام يلازم الكتابة من حيث إنها كتابة والمتمثل في افتقارها إلى الخصوبة الموجودة في الكلام المنطوق، ونوع خاص قد نجده في كتابة لغة من اللغات ولا نجده في أخرى. وهذا النوع الخاص من المشكلات هو ما يمكن للكتابة أن تتخطاه وتتجاوزه، أو أن تفضُل فيه كتابةَ لغة (أو لغات) أخرى. فإذا

---

(١) Kenneth Katzner, (1975), The Languages of the World, Routledge and Kegan Paul, p.53.

كانت الكتابة الفرنسية -كما مر- لا تمثل النطق الفرنسي الحالي إلا تمثيلاً شاحبًا، فإن بالإمكان أن نجد لغة تمثل كتابتُها نطقَها تمثيلاً على قدر كبير من الدقة (كاللغات المكتشفة حديثًا- مما سنذكره).

لا بد لنا، قبل المضي في هذا الموضوع، أن ننتبه إلى أننا عند تقويمنا لشيء، أمام خيارين:

أولهما: الحكم عليه وفقًا لمعيار مثالي، متصور، لا وجود له في عالم الواقع.

وثانيهما: تقويمه حسب الخصائص الواقعية الموجودة فعلاً في أفراد جنسه.

وهذا المعيار الثاني هو السائد، والشائع. فإذا ما وصفنا زيداً من الناس بأنه معمَّر، فهذا يعني أنه زاد على المعدل المعروف لعمر الإنسان بعشرين سنة أو ثلاثين. غير أن هذا الحكم يبطل أو يسقط إذا ما قومناه مستندين في ذلك إلى معيار غير موجود، كأن نقول: إن على الفرد أن يعيش ألف سنة.

بالرغم من بداهة هذا الذي قررناه، نجد بعضاً ممن يعيبون الكتابة العربية يستخدمون ضمناً المعيار الأول، أي أنهم ينتقصون من الكتابة العربية موهمين قراءهم بخلو الكتابات الأخرى من العيوب والمزالق، في حين أن الواقع، كما نجده في الكتابات الفعلية للغات، يكذب تلك الدعاوى، ويكشف عن عيوب كثيرة في كتابات لغات العالم، وقد خلت العربية من قسم كبير منها.

يسعى هذا الكتاب، من ثم إلى وضع الكتابة العربية بين الكتابات الأخرى، ليظهر مكانتها وميزاتها، وليحكم عليها مستنداً إلى الوقائع كما هي، من غير إخفاء الجانب (أو جوانب) بغية غمط حق الكتابة العربية.

ونبدأ أولاً بتبيان النظم الكتابية التي تستخدمها لغات العالم الحالية.

أنــواع النــظم الكتــابيــة

قـد يظن كـثـيـرون أن نظـام الكتـابة في لغـات العـالم متـمـاثل، بالرغم من اختـلاف اللغـات فيـمـا بينهـا، في نحـوها وصرفـهـا ومعـاني ألفاظهـا. غيـر أن الواقـع يدلنا على أن هناك حالياً نظماً ثلاثـة بينهـا علمـاء اللغـة المحدثون[١]. فلننظر فيـهـا لنرى موقع الكتـابة العـربيـة ونعـرف، من ثـم، ميـزة النظام الذي تستعمله العربية.

أ- النظام الألفبائي Alphabetic System

يقــوم هذا النظام على أســاس إعطاء مــقــابل مكتــوب (أي: حـرف) للصـوت المنطوق. فإذا نطق المتكلم بكلمـة مَلِك (المؤلفـة من صـوت الميم المتبـوع بصائت قـصـير هو الفتـحة ثم بصوت اللام المتبوعة بصائت قـصير هو الكسـرة ثم الكاف) فإن

(١) انظر في هذا الموضوع:
-Dwight Bolinger, (1975), Aspects of Language, 2nd ed., Harcourt Brace Jovanovich, p.467 ff.
-H.A. Gleason, (1961), An Introduction to Descriptive Linguistics 2nd ed., New York: Holt, Rinehart and Winston, pp. 411-412.
-Leonard R. Palmer, (1972), Descriptive and Comparative Linguistics, London: Faber and Faber, p.246 ff.

الكلمة المكتوبة تجسّد أو تمثّل خطيًا الأصوات المنطوقة، مع وجود تلازم أو ترابط (تفرضه الجماعة اللغوية) بين تلك الحروف المكتوبة والأصوات المنطوقة. فإذا تغيّر ترتيب الأصوات المنطوقة نفسها، تغير ترتيب الحروف بما يعبر عن ذلك التغيير. فإذا قَلَب المتكلم اللفظة السابقة ونطق بكلمة (كلم) فإن الحروف تجاري ذلك القلب الذي جرى في ترتيب الأصوات. ويكاد الأمر يشبه أرقام الهاتف: ففي وسعنا استحداث أرقام جديدة من أرقام محدودة (من صفر–٩)، وذلك بإعادة ترتيب الأرقام. ولهذا السبب نجد في اللغات التي تتبع هذا النظام عددًا معينًا من الحروف (كأن يكون عشرين أو ثلاثين حرفًا)، يستطيع أن يستوعب ألفاظًا ينيف عددها على عشرات الآلاف.

تتبع العربية وأكثر اللغات هذا النظام، لمحاسنه الكثيرة التي نوهنا بها. وقد عمد الألسنيون الذين دونوا اللغات المكتشفة حديثًا في هذا القرن، مما لم يكن لها نظام كتابي أصلاً بسبب أمية الناطقين بتلك اللغات، عمدوا إلى استخدام هذا النظام دون النظامين الآخرين.

ب- النظام المقطعي : Syllobic System

خلافًا للنظام الألفبائي الذي يعطي رمزًا كتابيًا للصوت المفرد في الكلام، نجد النظام المقطعي يعطي رمزًا كتابيًا للمقطع الواحد، لا للصوت الواحد. وبغية توضيح المقصود بالمقطع، من غير الدخول في تفاصيل دقيقة لا مجال لها في هذا الكتاب(١)، يمكن القول: إن المقطع يتألف (عادة) من صامت (حرف صحيح) أو شبه صائت (حرف علة متحرك) متلو بصائت (حركة، أو حرف علة ساكن)، وقد يأتي بعد الصائت حرف علة، أو صامت أو صامتان. فقولنا: (كَتَبَ) مؤلف من ثلاثة مقاطع: كَ، تَ، بَ، كل مقطع مكون من صامت متلو بحركة. وقولنا: (وَلَدان) مكون من المقاطع الآتية: وَ، لَ، دان، «إذا سكّنا النون»، فالمقطع الأول مؤلف من شبه صائت وصائت قصير، والمقطع الثاني يحوي صامتًا متلوًا بشبه صائت، والمقطع

---

(١) للاستزادة من موضوع المقطع انظر:

- الصوتيات، برتيل مالبرج، ترجمة د. محمد حلمي هليل، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٤م، ص ١٢٤-١٣١.

-George Yule, (1996), The Study of Language, 2nd ed., Cambridge University Press, pp. 57-58.

الثالث يتألف من صامت وصائت طويل وصائت ساكن.

يتضح مما سبق أن الكلمة العربية (كَتَبَ) مثلاً تكتب بثلاثة رموز لاحتوائها ثلاثة مقاطع. وقد استعملت بعض اللغات القديمة هذا النظام، علاوة على استخدام اليابانية الحديثة لهذا النظام جزئيًا.

جـ- النظام الفكري: Ideographic System

يختلف هذا النظام اختلافًا كبيرًا عن النظامين السابقين، لأن الكلمة المكتوبة وفقًا لهذا النظام لا تمثل «أصوات» الكلمة المنطوقة، وإنما تشير إلى الفكرة أو المفهوم.

فإذا ما استطعنا تقطيع أصوات كلمة (ملك) في النظام الألفبائي وتتبعنا ذلك التقطيع في الأحرف المستعملة لكتابة الكلمة نفسها، فإن الأمر يختلف كل الاختلاف في النظام الفكري، إذ لا يمكن اتباع الخطوات نفسها. ولعل خير مثال على ذلك هو العلامة (+) التي نستخدمها في الوقت الحاضر.

فإذا اتفقنا على أن الفكرة التي يحملها هذا الرمز هي

«زائداً»، فلن نتمكن من تحليل أو تقطيع هذه العلامة (أي +) لتتطابق أو تمثل الأصوات المكوِّنة لكلمة «زائداً»، كما فعلنا مع كلمة ملك العربية.

والملاحظ أن هذه العلاقة يمكن أن تنطق بأشكال متعددة، فعلاوة على كلمة «زائداً» يمكن أن ندل عليها بالكلمات: موجب، فضلاً عن، علاوة على، فصاعداً ...إلخ. ومن ثم تنعدم العلاقة انعدامًا كاملاً بين نطق هذه الكلمات وتلك العلامة. ومن الأمثلة الأخرى العلامات: =، –، ÷ إلى غير ذلك.

تعد اللغة الصينية خير ممثل لاستخدام هذا النظام الكتابي[1]، وهي لغة ربع سكان العالم.

ولا ريب أن موازنة عجلى بين هذه النظم توضح تفوق النظام الألفبائي، ذلك أن اللغة تستوعب به برموز قليلة أصوات اللغة، وخاصة الأصوات المهمة في تغيير المعنى، في حين أن

---

(١) للاستزادة، راجع:

-الأبجدية: نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب، د. أحمد هبو، ط١، دار الحوار، اللاذقية، ١٩٨٤م. حيث يفصل في هذا النظام وغيره.

النظام الفكري يعطي للفكرة (وليس للصوت) رمزًا، مما يجعل عدد الرموز كثيرًا جدًا. وتكثر في النظام المقطعي أيضًا، وإن كان ذلك بدرجة أقل، الرموز الكتابية، فنجد رمزًا خطيًا منفصلاً للمقاطع (ما، مو، مي . . . إلخ).

وهذا يعني أن الكتابة العربية، باتباعها النظام الألفبائي، متفوقة على الكتابات التي تتبع النظامين الآخرين، ومنها الصينية كما مر.

الفصل الثاني
المآخذ المنسوبة إلى الكتابة العربية ومناقشتُها

ووجهت الكتابة العربية، في هذا القرن خاصة، بانتقادات ومطاعن أشارت إلى مثالب ومعايب فيها. وقد كثر الحديث عن تلكم النواقص في الكتابة العربية، مما حدا بمجمع فؤاد الأول للغة العربية إلى أن يؤلف سنة ١٩٣٨م لجنة من العرب والمستشرقين كي يدرس هذه المشكلة، ويعمل على حلها وتقديم بديل للكتابة العربية يخلصها مما علق بها من شوائب، ويزيح عنها مواطن الخلل فيها. وبعد ست سنوات من عمل اللجنة، أعلنت سنة ١٩٤٤م عن منح جائزة قدرها ألف جنيه مصري لصاحب أفضل اقتراح في هذا الخصوص.

وكانت حصيلة ذلك أن انهالت المقترحات ووصل عددها إلى أكثر من مائتي اقتراح؛ بحث المجمع اثنين منهاً، أولهما للأستاذ علي الجارم، وثانيهما لعبد العزيز فهمي، ونشرهما في كتاب خاص[١].

(١) تيسير الكتابة العربية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٤٦م.

يتضح من ذلك أن هناك، في رأي المجمع والمقترحين للتغيير من سابقين ولاحقين ومعاصرين، نواقص في الكتابة العربية تستدعي المعالجة، وأن العربية تنفرد بمواطن خلل لا نجدها في الكتابات الأخرى. فما تلك المآخذ[1]؟

١- المأخذ الأول:

يكثر تدوين الأحرف وهي خالية من الحركات (الفتحة

---

(١) رجعنا في عرض المآخذ إلى المصادر الآتية:

- فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، ط٧، القاهرة، ١٩٧٢م، ص٢٥٨ وما بعدها، وقد تراجع عن الدعوة إلى التغيير (هامش ١، ص٢٧١ من الكتاب المذكور).

وانظر أيضاً:

- فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب، ط٢، مكتبة الخانجي بمصر، د.ت، ص٣٩٦ فما بعدها.
- فقه اللغة، د. عبد الحسين مبارك، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٦م، ص ١٣٥ فما بعدها.
- مشكلات اللغة العربية، محمود تيمور، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ت، ص٣٩ فما بعدها.
- في اللغة العربية وبعض مشكلاتها، د. أنيس فريحة، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٨٠م، ص١٤٧ فما بعدها.
- الخط العربي: نشأته ومشكلته، د. أنيس فريحة، مطبعة فؤاد بيبان، جونيه، ١٩٦١م.
- في علم اللغة العام، د. عبد الصبور شاهين، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠، ص٢٦٧ فما بدها.

وقد أشارت هذه المصادر إلى كتب ومقالات أخرى في الموضوع.

وقد اختلفت مواقف مؤلفي الكتب المذكورة ما بين مؤيد مثل (د. أنيس فريحة) ورافض للتغيير مثل (د. عبد الصبور شاهين).

والضـمـة والكـسرة) . وإذا مـا اسـتـخـدمت تلك الحـركـات فـإنما يقتصر ذلك على الكتـابات الموجهة إلى الشُّداة والمبتدئين. وقد قاد هذا الخلل إلى ما يأتي:

أ- عدم استطاعـة قراءة النص العربي صحـيحة إلا إذا كـان القارئ ملمًا، أصلاً، بقواعد العربية نحواً وصرفًا، وكان على علم مسبَّق بما يقرؤه. وهذا على رأي قاسم أمين، خلاف القاعدة. ففي معظم اللغات الأوروبية -كما يرى- يقرأ الناس قراءة صحيحة ما تقع عليه أبصارهم، أما نحن فلا نستطيع أن نقرأ قراءة صحيحة إلا إذا فهمنا، أولاً، ما نقرؤه.

ب- إن النص العربي، تبعًا لذلك، عرضة لقراءات مختلفة تتوقف على لهجة القارئ الأصلية. وبما أن هذه اللهجات عامية، بعيدة عن الفصحى، فإن البون بين ما يجب أن يُقرأ وما يُقرأ فعلاً، صار شاسعًا.

جـ- إن قراءة الأعلام غير المحركة أمر مُشْكِل، ولذا حاولت بعض المعجمات تدارك هذا الخلل بالنص على الحركة، كقولهم: كنانة، بكسر الكاف.

د- إن هذا الخلل يشيع اللحن، ويعمل على انحلال العربية الفصحى.

٢- المأخذ الثاني:

تعدّد صور الحرف الواحد؛ فحرف الباء -مثلاً- يكتب بأربعة أشكال: بـ، ـبـ، ـب، ب، فيتغير شكله وفقًا للجهة التي يتصل بها (من اليسار، أو من اليمين، أو من الجهتين، أو غير متصل). وكذا في معظم الحروف الأخرى.

وقد سبّب هذا العيب جملة من المشاكل، منها:

أ- إحداث الارتباك والبلبلة عند الشداة والمبتدئين من المتعلمين، وإطالة الوقت اللازم لتعلمهم الكتابة.

ب- تكليف المطابع نفقات كثيرة، بغية الحصول على عدة نماذج لكل حرف من حروف الهجاء.

جـ- إرهاق العمال في صف ثلثمائة صندوق من الحروف عند طبعهم.

د- تعرض عمال الطباعة، تبعًا لذلك للخطأ في الطبع.

٣- المأخذ الثالث:

قيام التفرقة بين مجموعات الحروف على أساس عدد النقاط ومواضعها، مع تساوي شكل الحروف (مثل تساوى الجيم والحاء والخاء في الشكل، واقتصار الفرق على التنقيط).

وقد نتج عن ذلك ما يأتي:

أ- اضطرار الكاتب إلى مراجعة ما يكتب ليضع النقاط في أماكنها المناسبة، وفي هذا إسراف في الجهد والوقت.

ب- تعرض الكاتب لإغفال بعض تلك النقط، أو وضعها في غير أماكنها، مما يربك القارئ.

جـ- إجهاد القارئ لكثرة الحروف المنقوطة، وتعرضه للارتباك والخطأ في القراءة. وهذا ما دعا بعض الكتب والمعجمات إلى النص على عدد النقاط ومواضعها، كقولهم في كلمة حبل: بالحاء المهملة والباء المعجمة الموحَّدة من تحت... إلخ.

الردود السابقة:

نوقشت تلك الانتقادات، ورُدَّت على أساس أنها غير

صحيحة. وقد استند المنافحون عن الكتابة العربية إلى ما يلي:

١- **أن الدعوة إلى تغيير الكتابة العربية مؤامرة على ركن علمي وفكري من أركان الأمة**، وهي مثل الدعوة إلى العامية، وإلغاء الإعراب، لا تعدو أن تكون معولاً يحاول أن يصيب مقتلاً في كيان هذه الأمة، خاصة أن كثيراً من دعاتها من غير العرب أو غير المسلمين.

٢- **إن تبديل الكتابة العربية يعني احتياج القارئ للتراث العربي إلى التدرب على قراءة الخط العربي**، وهذا يعني فصم العلاقة بين العربي وتراثه. وفي حالة إعادتنا لطبع التراث العربي وفقًا للكتابة الجديدة، فإن من شأن هذا أن يكلفنا الكثير من المال والجهد.

٣- **إن الخط العربي يتسم بجمال وإمكانات فنية كبيرة.** ولو اطَّرحنا الكتابة العربية فإننا سنفقد هذا الجمال.

ملاحظات:

بعد أن عرضنا لنقدات المنتقدين، ودفاع المدافعين، يمكن لنا

أن نلاحظ أموراً عدة في دعوات الرافضين للكتابة العربية، أهمها ما يلي:

١- أنهم أوحوا إلى العربي أن العيوب المنسوبة إلى الكتابة العربية خاصة بها، تنعدم أو تكاد في الكتابات الأخرى. صحيح أن قسماً منهم أشار إلى بعض تلك العيوب في لغات أخرى، كاللغات السامية، ولكن إشارتهم تلك كانت عجِلة عابرة، في حين بُولغ في إبرازها وتضخيمها في العربية.

٢- أنهم سعوا إلى أن يُفهِموا العربي أن تلك العيوب قاتلة، وأن فيها دماراً للتعلم، والاستيعاب، وأنها جعلت الكتابة العربية واحدة من أسوأ الكتابات في العالم، إن لم تكن أسوأها.

٣- أغفلوا ميزات الكتابة العربية، فقدموا بذلك صورة غير متوازنة، ومفتقرة إلى الموضوعية.

٤- أشعروا العرب بأن الكتابات الغربية، والإنجليزية والفرنسية خاصة، هي القمة والمثل الأعلى، وهذا ما يفسِّر دعوتهم (أو دعوة قسم منهم) إلى الأخذ بالحرف اللاتيني (متذكرين بطبيعة الحال الأثر التركي).

٥- سيطر نَفَس انتقادي على ملاحظاتهم، بحيث إنهم نظروا نظرة آحادية - انتقادية إلى ما يمكن أن يعد مفيداً وضاراً في الوقت نفسه. مثال ذلك أنهم نظروا إلى تساوي مجموعات من الحروف في الشكل (مثل الباء والتاء والثاء) على أنه مدعاة للارتباك؛ ولا أدري لم لم يقولوا بأنه يقلّل من عدد الأشكال المختلفة التي ينبغي على الطالب أن يتعلمها؟ بعبارة أخرى؛ طرح المنتقدون أفكارهم وكأنهم «يجب أن ينتقدوا» أو ينبغي العثور على خلل في هذا الجانب أو ذاك، لا أن يقلّبوا الأمر من جوانبه المتعددة.

٦- كان بعض المنتقدين من الإنجليز والفرنسيين. ومن الطريف أن هؤلاء لم يدعوا إلى تغيير كتاباتهم هم، على ما فيها من نواقص سنشير إليها في فقرة لاحقة في هذا الفصل، ولكنهم دعوا إلى تغيير الكتابة العربية!

أما المدافعون عن الكتابة العربية، والمتمسكون بها، فقد كانت ردودهم سليمة ووجيهة، ففي الجانب الجمالي، على سبيل المثال، ليست هناك كتابة -على قدر ما أعلم- ذات

طاقات جمالية توازي أو تداني الكتابة العربية. وفي فن الخط العربي مصداق ذلك.

بيد أننا نلاحظ على الردود السابقة ما يأتي:

١- تفادى المدافعون مناقشة جزئيات الانتقادات وتفصيلاتها، وقصروا مناقشاتهم على العموميات والبواعث والنتائج.

٢- سلّموا ضمنًا، بعيوب الخط العربي، ولكنهم رفضوا نتيجة ذلك التسليم، وهي تغيير الكتابة العربية أو اطّراحها.

٣- يصعب على غير العربي المسلم الإقرار بهذه الردود. فإذا كان انتقاد المنتقدين «فنيًا» و«موضوعيًا» -حسب زعمهم- فبإمكانهم رفض الردود القائمة على أساس تاريخي أو جمالي.

٤- قد يجاب بأن الجمال مسألة نسبية وقائمة على الأُلفة والتعود، وقديمًا قيل: لا مشاحة في الذوق.

٥- أغفل المدافعون، مثلهم مثل المنتقدين، المزايا الذاتية (أي اللغوية، غير التاريخية أو الجمالية) للكتابة العربية،

وكأنهم نظروا إلى الكتابة العربية نظرتهم إلى عملة أثرية: فهي عديمة القيمة بوصفها عملةً، ولكنها عظيمة القيمة بوصفها أثرًا.

مناقشة حجج المنتقدين

مناقشة الحجة الأولى:

تخلط هذه الحجة بين أمرين، أولهما: النظام الكتابي، وثانيهما: مَنْ يستخدم ذلك النظام، فالنظام الكتابي العربي (أي: حروف الأبجدية، والحركات، والرسم) وفّر لمستخدميه الوسائل الكاملة للتعبير عن كل صوت تعبيرًا دقيقًا.

فلو كتبنا الكلمة «يَدَّخِرُ»، مثلاً، فلن نجد في النظام ثغرة أو ثلمة في التعبير الكامل، والتجسيد البَصَريّ لكل صوت من الأصوات المكوِّنة للكلمة السابقة[1]. وقس على ذلك آلاف الكلمات الأخرى.

ولا تثريب على الكتابة العربية نفسها إذا ما أهمل الكاتب

---

(١) لاستجلاء الفرق بين نظام الكتابة العربية، والإنجليزية والفرنسية، انظر الميزة «أولاً» في الفصل الثالث.

(لا الكتابة) -كسلاً، أو إهمالاً، أو تعجلاً، أو إحساسًا بعدم الحاجة- وضع تلك الحركات. فالمسألة تشبه السيارة التي وفرت لصاحبها ما يبتغيه من وسائل الراحة كاملة، بيد أنه لا ينتفع منها، فهل تلام السيارة أم صاحبها؟ ومن ثم، لا تتحمل الكتابة العربية وزر إهمال أو كسل مستخدميها.

ولا تنفرد العربية بجعلها الحركات منفصلةً عن الامتداد الأفقي للكملة، وعدم الدخول إلى صلبها. فنجد الأمر نفسه في العبرية والسريانية والفرنسية والألمانية (إلى حدٍ ما). ففي العبرية عشر حركات تكتب فوق الحرف أو تحته[١]، ونجد في الملحق الثالث حركات السريانية الغربية. وتعمد الفرنسية إلى أساليب قريبة من ذلك في صوائتها، كوضع خطيط مائل إلى اليمين، وآخر مائل إلى اليسار على حرف(e)، وما شاكل ذلك.

ويلاحظ إهمال كثير من الكتاب في العبرية والسريانية والفرنسية لتلك الحركات، ومن هنا جاء التعبير الفرنسي: وضع النقاط على الحروف.

---

(١) دروس في اللغة العبرية، د. ربحي كمال، ط٤، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٦م، ص٧٣.

وقد يقول القائل: ألا يدل تكرار هذه الظاهرة، أي: عدم الإشارة إلى تلك الحركات أو العلامات في تلك اللغات، ومنها العربية، على تعقيد في النظام أدّى بمستخدميه إلى التخفف من استعمال الحركات؟ بعبارة أخرى: لماذا نلوم من يهمل استخدام الحركات، ولا نلوم، بالقدر نفسه، صعوبة النظام نفسه؟

لا بد إذاً، قبل مناقشة الاعتراض الأخير، أن تصاغ الحجة برمتها صياغة جديدة، وهي أن موطن الخلل ليس في النظام الكتابي للعربية، ولكن كان ينبغي أن يتخذ شكلاً «يُجْبِر» الكاتب على إدخال الحركات إلى صلب الكلمة، ولا يترك له الخيار في استخدام الحركات أو عدم استخدامها.

فلم لم تفعل العربية ذلك في كتابتها؟

يمكن لنا في هذا الخصوص أن نشير إلى الأسباب الآتية:

١- هناك حقيقة معروفة عن اللغات السامية، ومنها العربية، وهي: أن المعنى الأساس للكلمة موجود في الصوامت المكونة لها، ولا يزيد دور الحركات على تخصيص المعنى. فكلمة (كتب) مهما تكن حركاتها، يرتبط معناها على نحو ما

بالكتابة. ويقتصر دور الحركات على تحديد كونها فعلاً معلوماً أو مجهولاً أو جمع تكسير ... إلخ. وبطبيعة الحال يعتمد القارئ على سياق الحال أو السياق اللغوي لتحديد المعنى المقصود. ومن هنا كانت الحركات -إذا صح التعبير- شيئاً يقترب من الترف، لا تستخدم إلا لإزالة لبس محتمل.

٢- أن كثيراً من الكلمات لا تحتمل إلا حركات معينة دون غيرها، ومن ثم سيكون تحريكها، أو وضع الحركات داخل الكلمة، تحصيل حاصل، فكلمات مثل: زادت، استهان، قوبل، يتناولونها ... إلخ. لا اجتهاد في تحريكها. فهل تحتمل كلمة «استهان» مثلاً حركات غير حركاتها[١]؟

٣- كثرة الحركات في الكلمة العربية. ولتبيان ذلك نشير إلى أن علماء اللغة المحدثين يصطلحون على ما يسمونه «عنقود الصوامت» Consonant Cluster والمقصود بذلك هو اجتماع صامتين، أو أكثر، في كلمة من غير صائت يفصل بينهما[٢].

(١) سنتناول الحركات الإعرابية في مناقشتنا لقاسم أمين.

(٢) George Yule, (1996), The Study of Language, 2ng ed., C.U.P., P. 58.

مثال ذلك: (أَكْتُبُ)، حيث نجد صائتًا قصيراً (هو الفتحة) يفصل بين الهمزة والكاف، وصائتًا قصيراً آخر (هو الضمة) يفصل بين التاء والباء، ولكننا لا نجد صائتًا بين الكاف والتاء. فهذان الصامتان (أي: الكاف والتاء) « تَعَنْقَدا » في هذه الكلمة. ومثل ذلك يقال في الفعل: (انْبَجَس)، حيث تعنقدت النون والباء. ونجد في اللغة الإنكليزية، مثلاً، إمكان تعنقد صامتين، مثل: (Eggs)، أو ثلاثة، مثل: (Street)، أو أربعة، مثل: (Exclamation) « حيث تمثل (X) صوتين ». ونلاحظ من الأمثلة السابقة أن التعنقد في اللغة الإنجليزية قد يكون في بداية الكلمة، أو وسطها، أو نهايتها[١].

أما العربية فلا يتعنقد فيها أكثر من صامتين في الكلمة الواحدة. وهذان الصامتان لا يكونان إلا في وسط الكلمة، (مثل الكاف والتاء في: أكْتب، كما مر)، أو في نهايتها عند الوقف، مثل: (الكاف والراء في: بكْرْ)، (واللام والباء في: قلْبْ). وهذا يعني أن العربية لا تسمح بتعنقد الصوامت في

(١) Ibid.

البداية (لأن الكلمة العربية لا تبدأ بساكن)، فضلاً عن عدم تجاوز التعنقد لصامتين[1]. مما يؤدي إلى قلة السواكن، ومن ثم كثرة الحركات.

ويكفي للدلالة على كثرة الحركات وقلة السواكن في العربية، أن الأفعال الثلاثية العربية كلها (فَعَل، فَعِل، فَعُل) قائمة على أساس (صامت + صائت + صامت + صائت + صامت + صائت). والأفعال الثلاثية -كما نعلم- تؤلف معظم الأفعال العربية.

فإذا ما أخذنا العوامل الثلاثة السابقة في الحسبان (أي: وضوح المعنى العام للجذر، وعدم احتمال كلمات كثيرة لحركات بديلة، وكثرة الحركات)، فإن الكتابة العربية أمام واحد من خيارين: إما إدخال الحركات إلى صلب الكلمة (ومنها الضروري، ومنها غير الضروري)، وإما عدم إدخالها إلى صلب الكلمة.

أما إدخالها إلى صلب الكلمة، فيعني زيادة في المساحة

---

(١) دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة ١٩٩١م، ص٢٧٣-٢٧٤.

الأفقيـة للكلمـة، وإطالتـهـا. ولمعـرفـة مـدى الزيادة في الامـتـداد الأفـقي فقـد اتـخـذنا، مثالاً كيـفـما اتفق، نـصًا من هذا الكتاب، يبـدأ ببـداية الـفـقرة التي مسـتـهلهـا «أمـا العـربـيـة فلا»، وينتـهي بنهـاية الفـقـرة السـابقـة «وأمـا عـدم إدخـالهـا في صلب الـكـلمـة»، فظهر أن عـدد الكلمات في هذه الفقرة (١٣٩) كلمة، بلغ عدد حروفهـا (٦٣٤) حـرفًا. وعـنـد تحريك كل كـلمـة تحـريكًا كاملاً، وبضـمـن ذلك حـركـات الإعـراب، وإعـطـاء كل حـركـة حـرفًا، بلغ عـدد الحـروف (٩٩٢) حـرفًـا. وهـذا يعني أن الزيـادة أكـثـر من خـمـسين في المائة[١]. فـإذا كـان عندنا كـتـاب مـؤلف من مـائة صفحة، فـسيصبح مائة وخمسين، هذا إذا أدخلنا تلك الحـركات إلى صلب الكلمات.

وتأكـيـدًا لما سبق أن قـررناه، سنعـمـد إلى كـلمـة عـربيـة هي (يتنـاولونهـا) ونـكـتـبـهـا عـلى الطريقـتـين الكـردية (التـي تـدخـل الحـركـات إلى صلب الـكلمـة، مـسـتـخـدمـة الحـرف الـعـربي)، وبالحـروف اللاتيـنيـة، واضـعين نصب أعـيـنـنا أن هـذه الـكـلمـة

(١) مع ملاحظة أن صيغة فعل (بفتح العين، أو كسرها، أو ضمها) سيتضاعف عدد أحرفها.

لا تحتاج -في العربية- إلى تحريك، إذ ليست هناك بدائل فيها. وعلى هذا سنجدها تكتب على الطريقة الكردية هكذا: (يه ته ناوه لوو نه ها)، وإذا كتبناها بالحروف اللاتينية -كما دعا بعضهم- فستكون هكذا: (Yatanaawaloonahaa) أي إنها بحسب الطريقة الكردية تكتب بخمسة عشر حرفًا، وبحسب الطريقة اللاتينية تكتب بسبعة عشر حرفًا، في حين أنها تكتب في العربية بعشرة حروف، تسعة منها متصلة[1].

فهل يريد دعاة نبذ الكتابة العربية واطّراحها هذه النتيجة؟ وأيهما أدعى إلى الخطأ في الكتابة والإملاء: الكلمات الصغيرة أم الكلمات الكبيرة؟ وأيهما يستغرق وقتًا أكثر في الكتابة؟ وأيهما يستنزف الجهد؟ لا أعتقد أننا نحتاج إلى تفكير كثير للإجابة.

ولا يمكن لقائل أن يقول: إن في وسع الكتابة الجديدة المقترحة أن تختصر، بأن تضع -مثلاً- خطيطًا فوق أحد الحروف (وليكن حرف œ) للدلالة على أنه ألف طويلة وليس

(١) مما يستحق التفكير هو الموازنة بين طول كلمتين متساويتين في عدد الأحرف، تكتب إحداهما بحروف متصلة مثل: (كتب)، والأخرى بحروف منفصلة مثل: (ك ت ب).

فتحة، لأننا بذلك سنعود إلى النظام نفسه، أي نظام الحركات فوق الحروف، وقد لبس ملابس جديدة.

لا غرو إذاً أن تلجأ الكتابة العربية إلى الحل الثاني، وهو الاستفادة من الفراغ بين الأسطر ووضع الحركات تحت الحروف أو فوقها حينما يكون ذلك ضرورياً. فهذا الخيار هو وحده الذي ينسجم مع طبيعة العربية، تلك الطبيعة التي لا يمكن لأحد أن يمسها.

ويؤكد فشل محاولات قرن (ولما تقف تلك المحاولات) لإزاحة هذه الكتابة، وإحلال بديل عنها، يؤكد ملاءمة نظامها الكتابي لتلك اللغة، ووفاءه بحاجتها وحاجة مستخدمي العربية.

أما القول بأن النص العربي، بسبب خلوه من الحركات، عرضة لقراءات مختلفة حسب لهجة القارئ الأصلية، ففي هذا الكلام خلط كبير. وينبغي أن نلاحظ في هذا الخصوص ما يأتي:

١- إن بعد الشقة بين العاميات العربية والفصحى غير ذي

علاقة بالكتابة، خاصة إذا تذكرنا أن المسافة بين الاثنتين تزداد بازدياد الأمية. وهذه الأخيرة لا علاقة لها بمسألة الحركات.

٢- لا تُلام الكتابة العربية، إذا استُخدمت إمكاناتها (حروفًا وحركات)، فهي قد أدت واجبها كاملاً ولا تتحمل وزر وجود عاميات بعيدة أو قريبة منها.

٣- لم تقف الكتابة حائلاً بين النطق الفصيح من جهة، والنطق اللهجي من جهة. وخير دليل على ذلك هو أن أي صوت عربي إذا ما جاءت بعده ألف فلا بد أن يكون ذلك الصوت مفتوحًا (مثل: قال، حال ...)، ومن ثم لا نحتاج إلى تحريك الحرف السابق للألف.. وبالرغم من هذه الحقيقة اللغوية المعروفة، نجد أبا عمرو، والكسائي، والدوري، واليزيدي، والحلواني جميعًا يقرأون كلمة (الناس) في القرآن الكريم بالإمالة[١].

أما النص على الحركات، كقولهم: (القدس، بالقاف المضمومة المثناة من فوق، والدال المهملة ..إلخ)، فغريب أن

(١) معجم القراءات القرآنية، د. أحمد مختار عمر، ود. عبد العال سالم مكرم، ط١، جامعة الكويت، ١٩٨٥م، ٨/٢٨١.

يؤخذ هذا مأخذ الدليل على عجز الكتابة العربية، من غير فهم مرامي المؤلفين، والظروف التي ساعدت على نشوء هذا التقليد.

فمن المعروف أن الناسخ القديم للمخطوطة (وهو نظير الطباع في أيامنا)، قد لا يكون ملمًا بالمادة المكتوبة ومن ثم يكون عرضة للزلل. وإذا كان المؤلف الحالي يكتفي بمراجعة نسخة واحدة من المطبوع قبل إخراجه النهائي، فإن المؤلف القديم لم يكن في وسعه إلا مراجعة نسخ قليلة جداً تُقرأ عليه، ثم يقوم نساخ آخرون (وقد يكون ذلك بعد مئات السنين من وفاة المؤلف الأصلي) باستنساخ المخطوطة نفسها. فكيف يضمن المؤلف وقاية كتابه من التصحيف والتحريف؟ لا عجب إذاً أن يحتاط المؤلف فيلجأ إلى هذا الأسلوب. ولا أدري كيف كان هؤلاء المنتقدون سيحلون هذه المشكلة لو كانوا قد عاشوا في زمن خلا فيه من الطباعة؟ ويعزز قولنا هذا اختفاء هذه الظاهرة عمومًا من المطبوعات الحديثة لمؤلفي زماننا، لانتفاء الحاجة إليها.

أما الزعم بأن هذا الخلل يشيع اللحن، ويعمل على انحلال

الفصحى، فزعم لا يخلو من الخطل. فالعربية الفصحى لم تنحل في قرون من الزمن لم يتجاوز عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة أفراداً قلائل في المدينة الواحدة، فهل تنحل في القرن العشرين، وقت الدعوة إلى تبديل الكتابة العربية، في وقت تؤول فيه الأمية إلى الانقراض، وتمضي العامية صعداً مقتربة من الفصحى؟

أما إشاعة اللحن، فقد سبق أنْ قلنا: إن نظام الكتابة العربية نفسه لا يعاني من نقص، وإنما النقص في مستخدميه الذين لا يفيدون فائدة كاملة مما يقدمه لهم. وغريب حقًا أن يدعو أولئك الداعون إلى إلغاء نظام بكامله وإحلال نظام جديد محله، بدلاً من استخدام الحركات الموجودة أصلاً!

وقد أجّلنا في مناقشتنا للحجة الأولى، كلام قاسم أمين مفضلين تخصيص الفقرة الآتية له:

مقولة قاسم أمين:

سارت قالةُ قاسم أمين (١٨٦٥–١٩٠٨م) وكثر الاستشهاد بها، حتى عُدَّت من الأقوال الشائعة، ولذا نوجه إليها قدراً من الاهتمام. على أن شهرتها لا تعطيها ثقلاً علميًا، فهي مثل كثير

من الأقوال المأثورة (مثل: كل فتاة بأبيها معجبة)، قد ترتكز، وقد لا ترتكز، على أساس علمي سليم مبني على استقراء وفحص، بالرغم من سيرورتها.

يُفهم من كلام قاسم أمين أمران، سنشير إليهما، تاركين مناقشتهما، لأن في نيتنا مناقشة الأفكار، لا الأشخاص:

الأول: إنه اطلع على «معظم» اللغات الأوربية. ويفترض أن مدى اطلاعه كان عميقاً بما يكفي للمفاضلة بين تلك اللغات، واللغة العربية.

الثاني: أنه حكم للغات الأوروبية بعد مفاضلته بينها وبين الكتابة العربية.

فإذا ما تركنا هذين الأمرين (مع أن التحقق منهما، ومناقشتهما أمر لا يخلو من الطرافة)، فعلينا أن ننبه إلى ما يلي:

١- إنه يفترض أن كل كلمة عربية لا يمكن فهم معناها إلا بضبطها مشكولةً على نحو تام. وهذا كلام غير سديد، لأن هناك المئات من الكلمات المستخدمة في العربية لا تحتاج إلى

تحريك (مثل: كان، ماتت، تلك، في، لن ...إلخ) لمعرفتنا بالحركات مسبّقًا، فضلاً عن احتمال قسم منها لتحريك واحد معين، لا غير، كما مر بنا. ونزيد على ذلك أن كثيراً من الكلمات المنصوبة يجب أن تظهر النصب (رأيت زيداً، لن يدرسوا، صافحت المعلمين... إلخ)، أو الجزم (اكتبوا، اكتبا... إلخ) على نحو يظهر في الكتابة. كما يُظهر قسم من المرفوعات رفعه (جاء المعلمون، وهم يكتبون، وهما يكتبان، والمعلمان مجدان ... إلخ)، والمجرورات جرَّه (سلمت على المعلمين)، ويكفي وجود حرف الجر قبل الاسم للدلالة على كونه مجروراً (سلمت على عمر، ومررت ببغداد).

زيادة عما سلف، يساهم الترتيب المعتاد لأركان الجملة العربية في تجلية المعنى وتوضيحه (مثل: تقديم المبتدأ على الخبر، وتأخر المفعول به، ومجيء الفاعل بعد الفعل... إلخ). فما الذي يتبقى بعد ذلك إلا القليل؟

ومما يؤكد كلامنا هذا، قدرة إنسان عربي ذي مُكْنةٍ يسيرة (وأحيانًا شبه معدومة) من العربية على فهم ما يقرأ، وإلا

لخرجنا بنتيجة خلاصتها أن التبحر في العربية، نحوها وصرفها، شرط أولي للفهم، وهذا ما يخالف واقع الحال.

٢- إنه يكرر الخلط نفسه بين نظام الكتابة العربية، وإهمال الكاتب الذي يستخدم تلك الكتابة، وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك[١].

٣- لو سلّمنا جدلاً، بصحة رأيه، فإنه يصطنع رأيًا مبتسراً، بيد أنه يوحي بأنه يقدم لنا الصورة كاملة. فمن المعروف أن النشاط اللغوي ذو جانبين: سلبي يتجلى في الاستماع والقراءة، وإيجابي يتمثل في الكلام والكتابة. فإذا صح انتقاده (وليس يصح) فإنه يقتصر على الجانب الأولي، السلبي.

ولكن إذا تساءلنا عن الجانب الثاني، الإيجابي، فربما كان في وسعنا أن نقلب المقولة بحيث تصبح: يستطيع العربي أن يكتب قبل أن يفهم، أو من غير حاجة إلى أن يتذكر صورة الكلمة، ولكن الإنجليزي أو الفرنسي لا بد أن يفهم أو يتذكر صورة الكلمة قبل كتابتها. ودليلنا على ذلك أنك لو طلبت من

---

(١) انظر مناقشة الحجة الأولى في بداية هذا الفصل، والميزة (أولاً) في ميزات الكتابة العربية، حيث فصلنا هذه القضية.

الإنجليزي أن يكتب كلمة (فور) فلن يستطيع أن يكتبها قبل أن يعرف أياً من الاحتمالات الثلاثة هو المقصود. حيث يحتمل أن تكتب (four) بمعنى أربعة، أو (for) وهو حرف جر، أو (fore) وهو سابقة بمعنى: أمامي، مثل (forehead) بمعنى: الجبين.

غير أن هذا لا يعني أن هذه هي المعضلة الوحيدة التي يواجهها من يكتب الإنجليزية، كما لا يعني اقتران الكتابة الإنجليزية بالمعنى اقترانًا مطردًا. فالاقتران في واقع الحال اعتباطي، بمعنى أننا لا نجد في الإنجليزية قاعدة تفسر وجود حرف (u) في الكلمة الدالة على أربعة، واختفاء ذلك الحرف في الكلمتين الأخريين، فالتسيب هو الأصل.

ولتوضيح مدى التسيب، وقلة الضوابط أو انعدامها، ومن ثم حاجة الإنجليزي والفرنسي إلى التذكر، خصّصنا فقرة لنواقص في الكتابتين الفرنسية والإنجليزية.

٤- تُهمل الكتابة الإنجليزية الإشارة إلى النبر Stress بالرغم من أنه يغير معاني عدد من الألفاظ في تلك اللغة.

ولتوضيح الأمر، باختصار وسهولة، نشير إلى أن الارتفاع النسبي للصوت الذي يحظى به مقطع من مقاطع الكلمة عند نطقها، قد يفرق بين معنى وآخر في الكلمة الواحدة[1]. فكلمات مثل object (وتعني ضمن ما تعنيه: ١/ هدف ٢/ يعترض)، و subject (وتعني ضمن ماتعنيه: موضوع، يُخضع)، وimport (يستورد، أهمية)، وincrease (زيادة، يزداد)، يتقرر المعنى المقصود في كل كلمة حسب المقطع المنبور فيها، فإذا نُبِر المقطع الأول أعطت معنىً، وإذا نُبِر المقطع الثاني أعطت معنى آخر. ومن ثم لن يستطيع الإنجليزي أن يقرأ لكي يفهم، بل يفهم لكي يقرأ كلمات من هذا النوع قراءة سليمة.

ومن الطريف أن نلاحظ أن النبر لا يكتسب هذه الأهمية في العربية، بمعنى أنه لا يفرق بين معنى وآخر في الكلمة الواحدة، فلا غرو أن نجد الكتابة العربية تهمله.

---

(١) للتوسع في مفهوم النبر، انظر: علم اللغة العام، د. كمال محمد بشر، دار المعارف بمصر، ١٩٨٠م، ص ١٦٢.

وانظر أيضاً: دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، ص٢٦٩.

مناقشة الحجة الثانية:

اتخذت هذه الحجة من تعدد أشكال كتابة الحرف الواحد مطعنًا في الكتابة العربية، ونود أن نشير في هذا الخصوص إلى ما يأتي:

١- لا يقتصر هذا الأمر على العربية، فالإنجليزية مثلاً تكتب حروفها بأربعة أشكال: كبير وصغير وكل منهما يكتب بشكلين: كتابة منفصلة وأخرى يدوية. ونجد في العبرية حروفًا طباعية كما نجد أشكالاً يدوية[1]، كما أن السريانية تكتب الحرف بأربعة أشكال أيضًا (انظر الملحق ذا الرقم٢).

٢- يستشف الناظر إلى الأشكال المتعددة للحرف العربي الواحد علاقة وثيقة قد لا يجدها في غيرها من الحروف الأجنبية، فحرف الفاء مثلاً يكتب منفصلاً على هذا النحو: ف، بيد أن هناك مبدأً عامًا في الكتابة العربية وهو مدّ خُطَيط أفقي من الجهة التي يتصل بها بحرف آخر، ومن ثم يقتصر الشكل الجديد المتصل للحرف، قياسًا بشكله المنفصل،

(١) دروس في اللغة العبرية، ص٦٨.

على مراعاة هذا الاتصال بإجراء تحوير طفيف عليه لتسهيل عملية الاتصال.

فإذا وصلنا الفاء السابقة من اليسار، في كلمة (فلس)، فإننا لم نكتب حرفًا جديداً كل الجدة غير ذي علاقة بالشكل المنفصل للحرف، وإنما اقتصر عملنا على إزالة الارتفاع الرأسي في نهاية الجهة اليسرى بغية إتمام عملية الوصل. أما الجانب الأيمن فبقي على حاله، والأمر نفسه يحدث فيما إذا اتصلت الفاء بالجهة اليمنى، مثل: أنف. ولا أعتقد أننا نحتاج إلى دليل لإثبات أن الفاء في (أنف) هي نفسها في كلمة (جاف)، حيث الفاء منفصلة.. وما قلناه عن الفاء ينطبق على معظم الحروف العربية التي يمكن وصلها.

فالعلاقة إذاً، بين الأشكال المختلفة للحرف الواحد علاقة وثيقة لا يخطئها العقل الإنساني.. بعبارة أخرى، لا يحتاج الذهن الإنساني إلى الجهد ليستنتج التشابه الموجود بين (ت) و(تـ)، أو بين الباء في (برتقال) والباء في (قريب)، وإن كانت الآلة (لا العقل) تنظر إلى كل منهما على أنه شكل منفصل كل

الانفصال عن الأشكال الأخرى، مما سنتطرق إليه بعد قليل.

وقمين بنا أن نشير إلى العلاقة بين مجموعة من الأحرف اللاتينية قد تكون معدومة، مثل: (g) و(G)، و(A) و(a)، و(H) و(h).

٣- تنقض النقطة السابقة (أي: التماثل بين الأشكال المختلفة للحرف الواحد، وسهولة تبين العقل الإنساني لذلك التماثل) الدعوى بأن تعدد شكل الحرف سبب بلبلة المبتدئين في تعلم الكتابة العربية وإطالة زمن التعلم، ونود أن نسأل سؤالاً: هل هذه البلبلة وذلك التأخر في تعلم الأبجدية والتهجئة، مستنبطان عقلياً أم أنهما ثابتان تجريبيًا؟ بعبارة أخرى: هل «استنتج» المنتقدون هذه النتيجة (أي: البلبلة والتأخر) من «مقدمتهم» القائلة: بأن تعدد أشكال الحرف الواحد خلل في الكتابة العربية، أم أنهم أقاموا كلامهم هذا على أساس دراسات علمية، وخاصة بالموازنة بطلاب أجانب يدرسون لغات أخرى؟ وإذا كان التلميذ العربي يتباطأ في تعلم الأبجدية موازنة بنظيره الأجنبي، فهل يعود السبب إلى كون الحرف

العـربـي الواحـد يتـخـذ أشكالاً عـدة (مع مـلاحظة تسـاوي المتغيرات الأخرى، مـثل عمر الطالب، ونوع المعلم ...إلخ)؟ وما المدة التي يتـخلف فيـهـا العـربي -إن تخلف فـعـلاً؟ ونـحـن إنما نتساءل لأنني لم أعرف -على قـدر ما أعلم- بوجود مشكلة من هذا النوع (وقد كنت يومًا ما تلميذًا) إلا من الداعين إلى تغيير الكتابة العربية.

٤- نقـر بأن الكتـابة العـربيـة كـانت تقـاسي من المطبـعـة العربية، وأن الصنـاديق التي تحتـاجـها العـربية أكثر من الصناديق التي تحتاجها الكتابة اللاتينية بما يقارب ثلاث مرات.

بيـد أن هـذه المشـكلة بـاتـت قـديمة، وانقـرضـت بدخـول الحاسـوب (الكمبـيوتر)، بدليل أن الجـهـاز الذي يطبع الحرف اللاتيني هو نفـسه بحـجمـه الصغير، يطبع الحرف العربي أيضًا. وتولّى الجهـاز نفسـه عـملية الوصـل بين الحروف. فإذا طُبِع على الحاسوب لفظ مثل (أب)، بالباء المنفصلة، ثم أراد الطابع زيادة ياء الضـمـيـر، أي (أبي)، فلن يعـمـد الطابع إلى إلغـاء البـاء المنفصلة ليحل محلها الباء المتصلة، وإنما سيطبع الياء وستتحول

الباء –آليًا– إلى باء متصلة. وكأن الحاسوب ببرمجته أدرك العلاقات الوثيقة بين الأشكال المختلفة للحرف الواحد، مما أشرنا إليه، وهو ما فشلت المطابع القديمة في إدراكه.

ومما يجدر ذكره هو أن الحركات في الحاسوب تختص بمفاتيح منفصلة. وعلى هذا يستطيع الطابع أن يضع الفتحة أو الضمة أو الكسرة أو الشدة ... إلخ، على الحرف الذي يريده.

مناقشة الحجة الثالثة:

من يتأمل هذه الحجة يجد أنها قيلت من رجل أجنبي –غير عربي– تلتبس عليه حروف ليست بحروف لغته، فتبدو أمام عينيه متشابهة ومدعاة للالتباس والخلط، ويكاد الأمر يقترب من نظرة رجل أوروبي إلى أبناء الجنس الأصفر، الذين يبدون لناظريه وكأنهم نسخ متعددة من كتاب واحد. غير أن هذه النظرة ليست هي نظرة أبناء الجنس الأصفر إلى أنفسهم.

ونود ههنا أن ننبه إلى المسائل الآتية:

١– ليس هناك دليل على أن وضع نقطة على حرف الراء –مثلاً– لجعله زايًا أعقد أو أصعب من وجود شكلين منفصلين

كل الانفـــصـــال مـــثـل (R) و(Z) . ولا أدري لماذا لا ينظر المنتـقـدون إلى تسـاوي أشكال بعض الحـروف وتميـز أحـدها من الآخـر بالنقاط، أقـول: لماذا لا ينظرون إليه على أنه وسيلة تيسير (تتمثل في الاختصار في عدد الأشكال المختلفة) لا مدعاة لبس وخلط؟

٢- لا تخلو الحروف اللاتينية -عند التأمل فيها- من التشابه بين مجموعات فيها، حيث يتميز الواحد من الآخر، ضمن المجموعة نفسها، بتعديل في كل منها. فالمجموعة الأولى -مثلاً- تستند إلى شكل كروي، يُفتَح ويُغيَّر فيه اتجاه الفتحة، مع تغيير طفيف في قسم منها. فلننظر في المجموعات الآتية:

1- O, Q, a, G, c, e, u, n, v.
2- b, d, p, B, D, q, g.
3- A, V, W, M, N, Z, Y.
4- E, F, T, t, J, f, L, H, I, X, K.

٣- يضطر الكاتب العربي والإنجليزي والهندي... إلخ، من يكتب منهم بيده ومن يطبع، ومن يكلف آخرين بالطباعة، إلى مراجعة المكتوب أو المطبوع، لتمحيص النتيجة والتحقق من خلو

المدون من الخطأ.

وإذا كان المقصود أن انفصال النقطة عن الحرف، واضطرار الكاتب، من ثم إلى أن يُعمل يده مرتين في الحرف المنقوط؛ مرة لكتابته مهملاً، والثانية لتنقيطه، فإن الكاتب بالحروف اللاتينية قد يضطر إلى الأمر نفسه. فمن يكتب حرف (t) مثلاً لا يستطيع أن يكتبه دفعة واحدة من غير رفع يده لكتابة الجزء الآخر (الخطيط الأفقي مثلاً). وقل مثل ذلك في حروف أخرى مثل (H, E, A, Q, f ... إلخ).

فليس اضطرار الكاتب إلى مراجعة ما يكتبه منقصة تقتصر على الكاتب العربي وحده دون غيره.

٤- يتعرض الكاتب العربي، والهندي، والإنجليزي... إلخ، إلى الخطأ والزلل، ويستوي في ذلك الكاتب بيده، والطابع على الآلة الكاتبة، والطباع في المطبعة. أم أن هؤلاء المنتقدين يقصرون غلط الكاتب أو الطباع على العربي دون غيره؟

٥- لا يجهد القارئ العربي لكثرة الحروف المنقوطة، لأنه اعتاد عليها وألفها، ولكن قد يجهد ويتعرض للارتباك واللبس

والحيرة من كانت قدرته من العربية ضئيلة، كالأجانب الذي يتعلمون العربية. والظاهر أن ههنا ما يسميه علماء النفس بالإسقاط، فلأن الأجنبي تلتبس عليه الأمور، فيظن أن هذا الإشكال لا بد أن يواجه العربي أيضًا. والأمر يشبه من ابتدأ بتعلم اللغة الإنجليزية فيتوجب عليه أن «يتذكر» أن الميم في الإنجليزية تكتب عكس (W)، ثم يظن -بعد ذلك- أن الإنجليز قد يواجهون مشكلة في تمييزهم بين الحرفين. أو يشبه تعجبنا من الأقدمين الذين كانوا يستخدمون الكتابة المسمارية، كيف استطاعوا أن يميزوا بينها وهي مجموعة «مسامير» متماثلة لا فرق بين الواحد والآخر!

نواقص في الكتابتين الفرنسية والإنجليزية

يلاحظ أن معظم الداعين إلى تغيير الكتابة العربية يجعلون من الكتابات الغربية مثلاً أعلىٰ، ويوحون إلى العربي أن تلك الكتابات -الإنجليزية والفرنسية خاصة- خالية من المشكلات، يسيرة، دقيقة.

ويبدو لنا أن هذا الإيحاء، قائم على مغالطة يمكن أن

نسـمـيـهـا: «المراهنـة على جـهل الطرف الآخـر»، ظنًا منهم أن القـارئ لآرائهـم أو المطلع على أفكارهـم لا بد أن يصـدقـهـم، لجهله بأسرار تلك اللغات ونواقصها في نظامها الكتابي.

والواقع أن تينك اللغتين -أعني: الإنجليـزية والفـرنسيـة- تعج بمشكلات وتحفل بمعايب قد لا تخطر على بال العربي الذي لا يعرفهما.

ففي الفـرنسيـة نجد الكثيـر من الكلـمـات التي تنـطق بأصوات قد يصل عددها إلى نصف عدد حروف الكلمة، مثل haut-parleurs حـيث تنطق: اوبا غـليغ [oparlœ:r] وكلمـة (beaucoup) حـيث تـنطق: بُكُ (boku)، وكـلمـة (heureusement) حيث تنطق ايغزمَ [œ:rzema]، وكلمـة hors-d'oeuvre حـيث تنطق: اوغـد يفغ [ordœ:vr] وغـيـر ذلك كثير.. ويكفي أن نشير إلى مثال آخر، وهو أن الكلمات (lait) حليب، و(les) حـرف تعـريف للجـمع، و(legs) الإرث، كلها تنطق لي (بإمالة الياء)، بالرغم من اختلافاتها في الرسم والمعنى -وإن كان الفرق يظهر في نطق الحرف الأخير منها

إذا ما جاءت بعد تلك الكلمات كلمة تبدأ بصائت– وهذا كله من غير ضوابط أو قواعد يسترشد بها الكاتب لمعرفة كيفية رسمه للكلمات.

ومن يطلع على الإنجليزية ويوازنها بالفرنسية، فسيجد الأولى أيسر، لا في نحوها فحسب، بل في نظامها الكتابي، حيث يعد أكثر انضباطًا من قواعد الرسم في الفرنسية. فلننظر إلى جانب من مساوئ النظام الكتابي للغة الإنجليزية، ليسعفنا ذلك في تقويم الكتابة العربية على نحو أكثر موضوعية. وقد اعتمدنا في سرد النواقص التي سنذكرها على مصادر إنجليزية تحدثت، هي عن المزالق في لغتها[١].

يلاحظ أن الصوت الواحد في اللغة الإنجليزية قد يكتب بأكثر من طريقة. وتختلف الأصوات في عدد الطرق التي يمكن أن تكتب بها، ففي حين نجد صوت الثاء في الإنجليزية لا يكتب

---

(١) اعتمدنا في ذلك المصادر الآتية:

1- Longman Dictionary of Contemporary English, 1978, pp. 1293-1294.

2- R.A.Hall, 1964, Introductory Linguistics, Philadephia: Chilton, pp. 272-273.

3- Gleason, (Ibid.), p. 418 ff.

4- Palmer, (Ibid.), p. 64 ff

إلا بطريقة واحدة، وهي (th)، نجد صوتًا آخر وهو الشوا (schwa) يكتب بثمان وعشرين طريقة. ونجد أصواتًا أخرى بين هذا وذاك في عدد الأشكال التي تكتب بها.

وبغية التزام الموضوعية، فضلنا ألا نعرض لأسوأ صوت في اللغة الإنجليزية من حيث عدد الأشكال الكتابية التي يتخذها، ولذا سننظر في صوت وسط يكتب بخمس عشرة (١٥) طريقة، وهو صوت الشين (كالذي نجده في كلمة « شجرة » العربية).

فالاحتمالات المستخدمة لكتابة الشين في الإنجليزية هي:

١- (sh)، ٢- (c) ٣- (ch) ٤- (s) ٥- (ti) ٦- (ss) ٧- (sc) ٨- (chs) ٩- (sci) ١٠- (ssi) ١١- (si) ١٢- (ci) ١٣- (sch) ١٤- (se) ١٥- (x).

ولا توجد قاعدة في اللغة الإنجليزية لترشد الكاتب إلى ضرورة اختيار أحد الاحتمالات دون غيره، فمدار الأمر كله هو الكلمة نفسها؛ فهذه تعبر عن صوت الشين بالاحتمال الرابع مثلاً، وتلك تعبر عن الصوت نفسه بالاحتمال العاشر.

ويزيد الأمر تعقيداً أن كل احتمال من الاحتمالات المذكورة يعاد استخدامه مرة أو مرات أخرى للتعبير عن أصوات لا علاقة لها بالشين. فالاحتمال الخامس عشر مثلاً، هو (x) يعبر عن صوت الشين في كلمة (luxury)، ولكن الحرف (x) نفسه يستخدم أيضًا للتعبير عن الأصوات الآتية: ١- الكاف والسين، في كلمة (box) مثلاً. ٢- الكاف الفارسية والزاي في مثل كلمة (exaggerate) ٣- الزاي في مثل (xylophone). ٤- ويأتي أيضًا حرفًا غير مقروء -صامتًا- في مثل (faux pas).

نسرد في أدناه الأشكال التي يكتب بها صوت الشين في اللغة الإنجليزية، واضعين تحت كل شكل خطًا، ثم نتبع كل شكل بالأصوات الأخرى التي يعبِّر عنها الشكلُ نفسُه، كما وضحنا ذلك توًا عند حديثنا عن حرف (x) في الفقرة السابقة. وقد استخدمت العلامة = للدلالة على تلك الأصوات الأخرى التي تُكْتَب بالحرف الذي تحته خط. واستخدمنا علامة الصفر (0) للدلالة على مجيء الحرف الذي تحته خط صامتًا أيضًا. فضلاً عن ذلك، ذكرنا كلمة إنجليزية بوصفها مثالاً على

كل حالة من الحالات. فالكلمة التي تقابل الحرف (أو الأحرف) الذي تحته خط مثال على استخدام ذلك الحرف (أو الأحرف) للدلالة على صوت الشين مثل: (s:sure)، أما قولنا بعد ذلك مباشرة (s (super = فيعني مجئ الـ s، التي عبرت عن صوت الشين في كلمة (sure) للتعبير عن صوت السين كما في كلمة (super)، وهكذا.

1- sh: fishing
= s + h (mishap)

2- c: ocean
= s (recent)
ts (cello)
o (muscle)

3- ch: chivalry
= k (school)
ts (cheer)
o (schism)

4- s: sure
= s (super)
z (was)
ʒ (usual)

o (corps)

5- ti: station
= ts (question)

6- ss: tissue
= s (mess)
z (scissors)

7- sc: fascism
= sk (biscuit)
s (scene)
z (discern) "American"

8- chs: fuchsia
= k+s (czechs)

9- sci: conscious
= sai (science)
s (scissors)

10- ssi: passion
= sai (missile)
sɨ (missing)

11- si: tension
= sai (side)
si (sick)
z (physics)

3 (vision)

12- ci: politician

= s (accident)

13- sch: schedule "British"

= s+k (school)

s (schism)

14- se: nauseous "American"

= se (second)

15- x: luxury

= ks (box)

gz (exaggerate)

z (xylophone)

o (faux pass)

يرينا المسرد السابق للأشكال التي يكتب بها أحد أصوات اللغة الإنجليزية، وهو صوت الشين، مدى هشاشة العلاقة بين الصوت وشكل كتابته. وفي وسعنا أن نلاحظ مدى إعادة استخدام الأحرف التي يكتب بها صوت الشين في كتابة أصوات أخرى، بحيث أن الحرفين (si) في الرقم (١١) يستخدمان لكتابة أربعة أصوات أخرى، غير الشين.

عـلاوة على مـا سلــف، هـناك ظاهرة الحـروف التي تُكتــب ولا تقرأ (أي : الصامتة) . وسنذكـر الحروف التي تأتيْ صامتة في المسرد الآتي، وبإزاء كل حـرف مثال أو مثـالان، وقـد وضع تحت الحـرف الصامـت خط . علــماً بأن مجيء هذه الحروف صامــتةً لا يخضع، في معظمه لأي ضابط .

b: bomb.
c: scene, muscle.
g: sign, gnaw.
gh: ought, light.
h: exhasted, vehicle.
k: know.
l: half.
m: mnemonic.
n: autumn, government.
nc: blancmange
p: psychology, corps.
r: car.
s: aisle, patois.
t: often, fasten.
th: asthma.

w: wrong, answer.

x: faux pas.

فضلاً عما ذكره، قد يستخدم حرفان للتعبير عن صوت واحد، مثل (sh) للدلالة على صوت الشين، و(ph) للدلالة على صوت الفاء، و(th) للدلالة على صوتين هما التاء، أو الذال.

وقد يكرّر الحرف للدلالة على صوت واحد، مثل:

happy, Jelly, nappy.

وقد يكتب الصوت الواحد بحرفين منفصلين، مثل:

hate, cane, bide, bite, rode, code, mede, cube, cute.

وبالرغم من وجود رمزين للدلالة على صوت الفاء، وهما (f) و (ph)، فإننا لا نجد أي رمز كتابي للدلالة على صوت (s) في كلمة pleasure .

في مقابل ذلك، نجد حرفين، هما (c) و (x)، يمكن الاستغناء عنهما لأن هناك بديلين عنهما، وهما (k) و (s).

وكان من النتائج الكثيرة لهذه الفوضى في النظام الكتابي الإنجليزي –علاوة على صعوبة التنبؤ بكيفية تهجي الكلمة أو نطقها– وجود الكثير من الكلمات المتماثلة نطقًا، المختلفة كتابةً، مثل: إلخ... ,(boy, buoy), (whole, hole) (for, four, fore)

ولا بد من التنبيه ههنا إلى أن هناك قواعد قليلة للإملاء في الإنجليزية، شغلت صفحتين من معجم كُرِّس لمساعدة الكاتب أو الراغب في معرفة الرسم الصحيح للكلمات الإنجليزية[1].. وذكر كتاب ضخم عن النحو الإنجليزي قواعد أقل من الكتاب الأول[2]. بيد أن تلك القواعد لا تفسِّر أيًا من الظواهر أو المشكلات التي عرضنا لها في هذه الفقرة. أي أننا أهملنا في هذه الفقرة الإشارة إلى ما هو مطّرد (على قلته) لأننا لم نعده عيبًا، وإنما عُنينا، بدلاً من ذلك، بما هو فاشٍ وسائد، وهو الخالي من الضوابط.

---

(١) انظر ص ٢٢٣-٢٢٤ من كتاب:
Christine Maxwell, (1978), The Pergamon Dictionary of Perfect Spelling, Wheaton.

(٢) انظر ص ١٠٧-١٠٩، وص ٩٧٩ من كتاب:
Randolph Quirk, Sidney Greenbaum, Geoffrey Leech, and Jan Svartvik, (1972), A Grammar of Contemporary English, Longman.

الفصل الثالث
مزايا الكتابة العربية ومكانتها

عرضنا في الفصل السابق لما عُدّ مآخذ على الكتابة العربية، وناقشنا تلك المآخذ وأظهرنا أن كثيراً مما عدّ منقصة وموطن خلل قد لا يكون كذلك. علاوة على أننا أشرنا إلى أن جانبًا من تلك المعايب لا تنفرد بها العربية، بل تشاركها فيها لغات أخرى.

بيد أن تقويمًا موضوعيًا للكتابة العربية لا بد ألا يكتفي بما يمكن تسميته بالجانب السلبي، بل ينبغي علينا أن نبرز الجانب الإيجابي، وهو المزايا الذاتية التي نلفيها في الكتابة العربية، كيما يستطاع تبيان مكانة تلك الكتابة موازنة بالكتابات الأخرى.

ميزات الكتابة العربية

أولاً: الكتابة العربية كتابة (فونيمية)، ولا بد لفهم هذه الميزة أن نفهم أولاً فهمًا مختصراً وميسراً المقصود

بالفونيم (phoneme) .

لو استمعنا إلى الصاد في كلمة مثل « قَصْدُهُ »، للاحظنا أن الغالب في نطقها أن تكون مشبهةً للزاي المفخمة، فهي –إذا صح التعبير– مزيج بين الزاي والصاد، ومرد ذلك إلى تأثير الجهر في الدال المجاورة للصاد المهموسة. ولا يستبعد أن يتأنّى المتكلم عند نطقه لهذه الكلمة بحيث يجعلها صاداً خالية من أي جهر بتأثير الدال. ولو نظرنا إلى كلمتين أخريين تحويان الصاد أيضاً، وهما « صاحَ » و« صان »، فسنجد أيضاً اختلافاً يبن هاتين الصادين والصاد في كلمة (قصده) .. ففي حين تخلو الصادان في (صاح) و(صان) من الجهر، نجد في الصاد في « صان » شيئاً من الغُنَّة بتأثير النون، ولا نجد تلك الغنة في « صاح » .

ويمكننا أن نذهب إلى أبعد من ذلك، فهذه الصادات لا تتأثر بالأصوات المجاورة لها فحسب، بل تتأثر أيضاً بالناطق من حيث جنسهُ أو سنه، أو تعجله أو تباطؤه في الكلام، وكونه غاضباً أو متعباً . . . إلخ .

تتضافر إذاً عوامل عدة تفعل فعلها في تغيير الصوت الواحد

(وكانت الصاد مثالنا ههنا)، بيد أننا نعد هذا الصوت صوتًا واحداً، بالرغم من الاختلافات في نطقه. هذا الصوت (الذي نعده في ذهننا واحداً) صوت مجرَّد أو مُسْتَخْلَص من هذه الأشكال المتعددة المختلفة في نطقه، إنه بعبارة أخرى «الجوهر» الكامن وراء «المظاهر» المتعددة، فهو -إذا صح التعبير- «صوت رئيس» وليست هذه الأشكال المختلفة لنطقه إلا «أصواتًا فرعية».

وتبرز هوية هذا الصوت الذهني، المجرد، وقيمته إذا وازينا بين كلمتين متساويتين في أصواتهما جميعًا باستثناء صوت واحد، كقولنا «صالح» و«طالح». فهاتان الكلمتان لم تختلفا إلا في الصوت الأول، غير أن هذا الاختلاف جرَّ إلى اختلاف في المعنى.

يصطلح علماء اللغة على تسمية هذا الصوت المجرد بالفونيم[1]، وفي وسعنا أن نقدم تعريفًا مبسطًا له بأنه: الصوت

---

(١) للاستزادة انظر:

- علم اللغة العام، ود. كمال محمد بشر، ص ١٥٥ -١٦٢

-Leonard Bloomfield, (1933,1979) Language, George Allene and Unwin, p.74 ff.
-Gleason, (Ibid)., p.257 ff.

الذي يؤدي استبداله بصوت آخر إلى تغيير في المعنى، شريطة بقاء البيئة الصوتية (أى: الأصوات السابقة واللاحقة للصوت المعني) ثابتة. ففي مثالنا السابق «صالح» و«طالح»، الفرق الوحيد هو حلول الطاء محل الصاد، ومن ثم يمكن القول: إن الطاء والصاد فونيمان متصلان في العربية، لأن إحلال أحدهما محل الآخر (ضمن البيئة الصوتية نفسها) أدّى إلى تغيير المعنى.. ولو جئنا بالصاد في كلمة «قَصْد» وفيها شبه بالزاي، وأحللناها محل الصاد في «صالح» لاستشعرنا نوعًا من الشذوذ في النطق، وكذلك لو جعلنا الصاد ذات الغُنَّة في «صان» محل الصاد في «قصد» لأحسسنا أيضًا بقدر من الشذوذ، ولكن المعنى في الحالتين كلتيهما، لم يتأثر.

نخرج من ذلك كله بأن الفونيمات هي الأصوات الرئيسة، والمهمة في اللغة، وهي القادرة على تغيير المعنى.. والمعنى -كما نعلم- جوهر النشاط اللغوي.

ولو تأملنا الكتابة العربية لوجدنا أنها قد وضعت لكل فونيم عربي حرفًا يدل عليه، لم تهمل من ذلك شيئًا. وإذا كنا

قد أشرنا إلى أمثلة كان موضع اهتمامنا فيها هو الصوامت consonants فإن هذا لا يعني إهمال الكتابة العربية لفونيمات أخرى هي الصوائت vowels الطويلة (الألف والواو والياء) والقصيرة (الفتحة والضمة والكسرة)، لأن هذه الصوائت فونيمات من شأنها تغيير المعنى، كما في بَرْد وبُرْد وبَرَد وبارِد، ووَرْد ووِرْد وورود، وقَلْب وقَلَبَ ... إلخ.

ولو نظرنا إلى هذه الكتابة في علاقتها بالفونيمات، لو جدنا أن عنايتها توجهت إلى الفونيمات دون غيرها. أما الأصوات الفرعية (الألفونات allophones) الناتجة عن تأثر الصوت بالأصوات الأخرى المجاورة (كهمس الباء في « ابتسام » وجهر السين في « أَسْدَل »، وغير ذلك مما مر بنا) فلم تعطِها الكتابة العربية رموزاً منفصلة، لأنها غير ذات شأن في تغيير المعنى.

ولعل من النتائج المهمة التي نستطيع تلمسها في هذا الخصوص، أن الكلمة العربية المحرَّكَة كافية وحدها لإرشاد القارئ إلى كيفية نطقها. بعبارة أخرى، لو وجد القارئ العربي أمامه كلمة مثل « مُنْقَلَبُ »، فلن يتردد أو يتلكّأ في قراءتها قراءة

صحيحة، حتى لو لم يكن قد سمع بها من قبل، من غير الاستعانة بوسيلة أخرى. وقل الشيء نفسه فيما إذا أراد الكاتب أن يكتب تلك الكلمة (أو غيرها) حتى لو لم يكن على معرفة سابقة بها.

في مقابل ذلك، لا يستطيع القارئ الإنجليزي أو الفرنسي أن يقرأ كلمة في لغته قراءة صحيحة ما لم يكن قد سمعها من قبل. وإذا صادف أنه لم يكن قد عرفها من قبل، فلا بد له أن يستعين بالكتابة الصوتية Phonetic Transcription التي ترافق الكلمات في معظم المعجمات الحديثة في تينك اللغتين. فكلمة مثل «book» نجد في جانبها رسماً آخر، مثل: [buk]، فالأول هو الرسم المستخدم عادة في كتابة الكلمة، والثاني هو كيفية نطقها[١].

وعلى هذا نجد رسمين لكل كلمة، لإرشاد القارئ أو المتكلم إلى كيفية النطق. ذلك أن قواعد الإملاء في الفرنسية

---

(١) هذه الكتابة الصوتية لهذه الكلمة كما استخدمها هورنبي A.S.Hornby في كتابه Oxford Advanced Learner's Dictionary في حين يرسمها «المورد» (منير البعلبكي، ١٩٧٨م) هكذا: bŏŏK

والإنجليزية تبلغ في ضآلتها وقلتها حداً تسعف فيه صاحبها مرة، وتخذله مرات.

ومن الطريف أن نشير في هذا الخصوص إلى أن طريقة الكتابة الصوتية التي استخدمنا ههنا واضعين إياها بين معقوفتين، هي واحدة من عشرات الطرائق المستخدمة في المعجمات لتبيان كيفية النطق الصحيح للكلمات، مما يستدعي من مصنف المعجم أن يذكر في بداية معجمه النظام الذي سيتبعه في معجمه مع ذكر مثال أو أكثر على كل صوت[1]!

فالكتابة العربية «مكتفية ذاتيًا» بعلاقة كتابتها بأصواتها، وهذا ما يجعل تلميذاً لا تعدو ثقافته الدراسة الابتدائية أن يكتب كلمة لا معنى لها مثل «دَيْز» كتابة صحيحة، مستنداً في ذلك إلى هذا الانضباط الموجود في العلاقة بين فونيمات اللغة العربية وكتابتها. بيد أن الفرنسي لا يستند إلى أي قدر من الانضباط عندما يكتب كلمة monsieur (بمعنى سيِّد

(١) انظر الهامش السابق، ومثاله من الفرنسية:
Le Petit Robert I, (1984), p.xxi
- وانظر أيضًا باطن صفحة الغلاف من كتاب Hornby المذكور في الهامش السابق.

وتنطق: مسيو، بإمالة الواو مع غُنَّة) وإنما يستند إلى ذاكرته، لا إلى قواعد[1].

ثانيًا: لا يعبِّر الحرف المكتوب في العربية إلا عن الصوت نفسه في الأحوال كلها. فأينما نجد الرمز «ب» فلن يحتمل تفسيرًا صوتيًا غير تفسيره بفونيم الباء. ولا يمكن إعادة استخدام هذا الحرف (أو غيره) للتعبير عن أصوات أخرى. في حين يحتمل حرف «C» أكثر من قراءة، وقد لا يقرأ أصلاً[2].

ثالثاً: لا يكتب الفونيم الواحد في العربية إلا برمز أو رموز محددة سلفًا، وقليلة العدد، يتراوح عددها ما بين (١-٤) أشكال. وهذه الأشكال في عمومها[3] متقاربة، فالتاء مثلاً في ترك، ويترك ونبت، وبات، يقترب شكل بعضها من بعض. فإذا سمعنا كلمة (قَلَم) وأردنا كتابتها، فإن صوت

---

(١) من المفيد أن نذكر أن من الأسئلة الشائعة في المسابقات في إنجلترا وفرنسا هو السؤال عن كيفية تهجي هذه الكلمة أو تلك.

(٢) انظر الفقرة الخاصة بـ «نواقص في الكتابتين الفرنسية والإنجليزية» في الفصل الثاني.

(٣) نستثني من ذلك الألف في مثل عصا، وعصى، والياء، وعلى نحو ما الهاء، حيث لا نجد أشكالها متقاربة تقارب الأشكال الأخرى للحروف. ويلاحظ في مقابل ذلك أن الحركات ذات شكل واحد، لا يتنوع.

القاف، مثلاً، لا يحتمل في التعبير عنه كتابيًا إلا وجوهًا معينة. واختيار وجه دون آخر، أي استخدام قـ بدلاً من ـقـ، أو ـق، أو ق، إنما يكون ضمن ضوابط وقواعد معروفة سلفًا.

وقبل أن نمضي في ذكر الميزات الأخرى للكتابة العربية، لا بد أن نوضح أن الميزات الثلاث التي سلف ذكرها ليست مفصولة على نحو مصطنع، كما قد يُظن. فالميزة الأولى تبين التزام الكتابة العربية بالفونيمات العربية، لا تهمل منها شيئًا ولا تزيد ما ليس منها (مع ملاحظة الميزة السادسة)[1].

أما الميزة الثانية فتشير إلى اقتصار الحرف العربي على تعبيره عن صوت معين دون غيره، بحيث لا يحتمل أكثر من تفسير (في حين يحتمل الحرف في الإنجليزية والفرنسية في كثير من الأحيان تفسيرات عدة، كما ذكرنا في الفقرة الخاصة بنواقص في الكتابتين الفرنسية والإنجليزية في الفصل السابق).

وتوضح الميزة الثالثة انحصار أو تقييد التعبير عن الفونيم

---

(١) تستخدم الإنجليزية (٢٦) حرفًا للدلالة على (٤٠) فونيمًا. انظر ذلك في:
David Crystal, (1995), The Cambridge Encyclopedia of the English Language, C.U.P., p. 272.

العربي الواحد بعدد محدود جداً من الأحرف.

ويبدو أن أُلفتنا بالعربية وعدم اطلاع كثير منا على مزالق الكتابات الأخرى، تجعلنا ننظر إلى هذه الميزات على أنها مسلّمات تستلزم إحداها الأخرى، غير أن افتقار لغات أخرى إليها ينبهنا إلى وجودها في الكتابة العربية.

رابعًا: لا تختلف الكتابة العربية تبعًا للطائفة، أو النحلة، فهي كتابة واحدة عند العرب جميعًا، من غير تأثر بالجغرافيا أو التاريخ. في حين أننا نجد لغة كالسريانية تستخدم ثلاث كتابات (الشرقية، والغربية، والخط السطرنجيلي) كما هو موضح في الملحق «١».

خامسًا: تخلو الكتابة العربية عمومًا من شواذ الكتابة، باستثناء كلمات قليلة جداً (مثل: عمرو، مائة، داود، . . .إلخ)، ينحصر معظمها في أسماء الأعلام، بحيث أمكن تعداد تلك الشواذ وإحصاؤها. وعلى العكس من ذلك، لسنا مبالغين إذا ما قلنا: إن عدد الشواذ في العربية يقارب عدد القواعد في اللغتين الإنجليزية والفرنسية.

سادساً: تخلو الكتابة العربية من ظاهرة الحروف التي تُكتب ولا تقرأ، أو ما يسمى بالحروف الصامتة « silent letters » إلا بضوابط وقواعد معروفة ومقررة سلفاً، علاوةً على إفادتها شيئًا ذا قيمة. فالألف الثانية في كلمة «قاتِلوا» غير مقروءة، ولكنها لحقت هذه الكلمة لأنها فعل، في مقابل الاسم «قاتلو» الذي هو جمع مذكر سالم لـ «قاتِلُ».

ونجد في الإنجليزية والفرنسية تسيبًا في معرفة ما يقرأ وما لا يقرأ. فمن يواجه كلمة في تينك اللغتين لا يستطيع أن ينطقها نطقًا صحيحًا مستنداً إلى رسمها، ولذا يتوجب عليه إما أن يسمعها منطوقة وإما أن يجد ملاذه في المعجمات التي تشير إلى الكتابة الصوتية المرشدة إلى كيفية النطق الصحيح[١].

سابعًا: لا تؤلف كتابة العربية الحالية عقبةً لمن أراد قراءة المخطوطات العربية القديمة.. بعبارة أخرى، يستطيع العربي، حتى لو كان ذا حظ يسير من العلم، أن يقرأ آلاف المخطوطات

---

(١) أشرنا في الميزة الأولى إلى مثال من الفرنسية، وانظر أيضًا الفقرة الخاصة عن نواقص في الكتابتين الفرنسية والإنجليزية في الفصل الثاني.

التي كتبت قبل مئات السنين، ولا يستدعي منه ذلك إلا الإلمام بمسائل قليلة جداً (مثل تسهيل الهمزة في المخطوطات القديمة، فكلمة «قائل» -مثلاً- تكتب: «قايل»)، وتلك المسائل كانت من مواصفات النساخ[1].

فالعربي ليس مطالبًا بدراسة نظام كتابي جديد وإتقانه كي يتمكن من قراءة المخطوط القديم، لعدم وجود فجوة كتابية بين كتابتنا الحالية والكتابة العربية قبل أكثر من ألف سنة. وهذا يعني أن الكتابة العربية ليست جسراً يوصل القارئ إلى مرحلة زمنية قصيرة ثم يتوقف، بل يمتد إلى عمق الثقافة العربية والتراث العربي، وهذا ما يعطيها قيمة وميزة على الكتابات المُنْبَتَّة عن ماضيها[2].

وهذه الميزة التي ذكرناها، صرح بها المدافعون عنها، وأقرّ بها

---

(١) انظر في ذلك: نشأة وتطور الكتابة الخطية العربية، فوزي سالم عفيفي، ط١، وكالة المطبوعات، الكويت: ١٩٨٠م، ص٢٢٦ فما بعدها. وانظر أيضاً:

- قواعد تحقيق المخطوطات ونشرها، عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٦٥م، ص٣٩ فما بعدها.

(٢) لغرض المقارنة، والاطلاع على الاضطراب والاختلاف بين الكتابتين الإنجليزية الحديثة (التي تبدأ سنة ١٥٠٠م) والإنجليزية الوسيطة، السابقة لها، انظر:

Crystal, (Ibid), p. 66 ff.

ضمنًا منتقدوها الداعون إلى تغييرها حينما ذكروا أن من مشكلات تغيير الكتابة العربية ما يستدعيه ذلك التغيير من إعادة كتابة المخطوطات القديمة. فلو لم تُفِد الكتابة الحالية في كونها مفتاحًا للمخطوطات القديمة لما اضطر أحد إلى ذكر مسألة المخطوطات أصلاً.

ثامنًا: حافظت اللغة العربية، بفضل القرآن الكريم أساسًا، على أرفع درجة ثبات في القيمة الصوتية لأصواتها، مما جعل الكتابة العربية تحافظ، تبعًا لذلك، على المقدار نفسه من ثبات القيمة الصوتية لحروفها.

ولتبيان ذلك نستطيع أن نقول: أن نطقنا الحالي للأصوات العربية متطابق تطابقًا كبيرًا مع النطق العربي للأصوات نفسها قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة، بدليل أن قراءة القرآن الكريم، وهي أفضل مصادرنا لتمثيل النطق العربي القديم، لا تحوي أصواتًا غريبة علينا، ولا تسقط أصواتًا نستخدمها الآن مما لم يكن له وجود في الماضي.

فالكتابة العربية إذاً ليست فونيمية في علاقتها بالنطق

الحالي فحسب، وإنما تستبقي سمتها الفونيمية حتى في النطق القديم للأصوات العربية.

وقد تمنعنا أُلفتنا بالعربية من التفكير في هذه الميزة، ولكننا لو تأملنا في احتمال افتقار العربية إلى هذه الميزة، لاتضحت المشكلة كل الاتضاح. فمن المحتمل أن يحافظ الحرف على شكله، ولكن قيمته الصوتية (أي: طريقة نطقه) لم تكن مساوية لقيمته الصوتية الحالية. ولعل من الأمثلة البارزة على ذلك حرف الراء الفرنسي، فإنه ما زال يكتب راء، ولكنه لم يعد ينطق راء كما في الماضي، بل بات ينطق غينًا.

ومن أمثلة ذلك أيضًا وجود كلمات في اللغة الإنجليزية تتضمن الحرفين «gh» غير منطوقين، مثل (night, right, light ... إلخ) إلا أن هذين الحرفين كانا يومًا ما ينطقان خاءً[1] –كما هو الحال في الألمانية الحديثة– فبقي الحرفان في الكتابة، ولكن قيمتها الصوتية اختلفت، وسنشير في الفقرة الخاصة بمكانة الكتابة العربية، إلى أمثلة أخرى من لغات أخرى،

(١) Yule, (Ibid), p. 220.

على هذه الظاهرة.

تاسعًا: أشرنا ضمنًا في هذا الفصل والفصل السابق إلى **كون الكتابة العربية منضبطة بأحكام وأصول**، تعصم من يلم بها من الخطأ الإملائي. ولكننا لو تساءلنا عن القاعدة التي كُتِبت وفقها الكلمتان الإنجليزيتان principal (وتعني: المدير، أو الرئيسي) و principle (وتعني: القاعدة، المبدأ) فلن نجد قاعدة، ولو وُجِدت لما كتبت كلمتان تنطقان نطقًا واحداً بشكلين مختلفين.

شُرفت الكتابة العربية وقبل ذلك اللغة العربية نفسها، بهذه المزايا، وصمدت صَمْداً في مواجهة معاول من شأن كلٍّ منها وحده أن يثلمها ويلويها ليّاً، كما حدث فعلاً في لغات قديمة وحديثة. ومن تلك العوامل التي كان يمكن أن تضرّ بالعربية وكتابتها ما يأتي:

١- **بُعد الشقة الجغرافية للعرب**، فالمسافة بين الناطقين بالعربية تمتد إلى آلاف من الكيلومترات. وبالرغم من ذلك نجد العربية الفصحى موحَّدة وموحِّدة. في حين أن المسافة الجغرافية

بين الإنجليزتين البريطانية والأمريكية خلفت فروقًا كتابية (وغير كتابية) مثل (labor, labour) و (goal, jail) وغير ذلك كثير.

٢- **العمق التاريخي للكتابة العربية**، وقبل ذلك للغة العربية. فنحن نتحدث عن كتابة عريقة فاقت في عراقتها معظم اللغات الحية (كما سنبين في الفقرة الخاصة بمكانة الكتابة العربية). في حين نجد الفيلسوف الفرنسي رنيه ديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠م) مثلاً، أول من كتب باللغة الفرنسية[١]، حيث كان الفرنسيون يكتبون قبل ذلك باللغة اللاتينية. أي أن القرون الطويلة لم تفعل فعلها في العربية وكتابتها، في الوقت الذي انقرضت فيه لغات، وتشعبت لهجات قسم منها إلى لغات منفصلة، كتحول الفرنسية والإيطالية والأسبانية والبرتغالية والرومانية الحديثة، من لهجات لاتينية إلى لغات منفصلة.

---

(١) انظر مادة ديكارت Descartes في دائرة المعارف البريطانية:

The New Encyclopedia Britannica, 1981, vol. 5, p. 600.

٣- **الغزوات الأجنبية للأراضي العربية**، التي قام بها أقوام اختلفت أعراقهم ودياناتهم وحضاراتهم، من مغول وفرنسيين وإنجليز . . . إلخ.

وليس ببعيد عنا ما حدث من إحلال لغة المستعمِر محل اللغة الأصلية في بلدان مثل هاييتي (التي تتكلم الفرنسية الآن)، وجامايكا وسيراليون (اللتين تستخدمان الإنجليزية في الوقت الحاضر)[١].

٤- **طائفة من المثقفين العرب المُحْدَثين** أعملت قدراتها العقلية وأقلامها ووزنها الفكري في البحث والتنقيب عما عدوه معايب في العربية. فهذا يدعو إلى نبذها وتخلفها، وذاك ينادي بأنها تحدث نوعًا من الأمراض النفسية (!) وثالث يدعو إلى تبديل حروفها.. صحيح أن الدوافع كانت مختلفة ما بين شخصٍ يريد أن يجعل من جماجم العربية جسرًا له ليدخل إلى التاريخ بوصفه القائل بكذا أو المنادي بكيت، وشخصٍ آخر

(١) Yule, (Ibid) p. 234.

يشعر بأن ما قام به (مصطفى كمال) من تبديل الكتابة التركية عمل بطولي وعظيم ينبغي على العرب أن يقتفوا أثره، وغير ذلك من الغايات والدوافع. بيد أن اختلاف الدوافع -حتى ولو كانت مخلصة- لا يعني ضرورة اختلاف النتيجة.

وقد كان لهذه الطائفة أثر خطير في هذا الميدان، لأنها زرعت في أذهان الكثيرين أن الكتابة العربية أسوأ (أو في الأقل واحدة من أسوأ) الكتابات. ونجحت في تثبيت مُسَلَّمة خلاصتها أن الكتابة العربية معيبة. وقد اتُّخذت هذه المسلمة نقطة انطلاق للبحث عن الحلول، بحيث وصل الأمر إلى مجمع اللغة العربية في مصر، حيث خصص مكافأة لمن يتقدم بأحسن حل لهذه المشكلة.

وغريب حقًا أن يعمد بعض مثقفينا إلى تناسي أو تجاهل حقيقة مهمة في التاريخ الحديث للحضارة الغربية، وهي أن المثقف الغربي سعى إلى التنبيه إلى المشكلات الحقيقية لمجتمعه، وتقديم الحلول الناجعة لها، لا أن يختلق مشكلات لا وجود لها، ليسطع نجمه في حلِّها.

كان كل عامل من العوامل الأربعة المذكورة، كافيًا وحده لتكبيد العربية جروحًا قد تكون قاتلة، فكيف إذا تضافرت كلها جميعًا؟ لا معدىً للمرء إلا أنْ يشير إلى أن القرآن الكريم أبقىٰ هذه اللغة مبرَّأَةً معافاة، في حين ثُلمت لغات أخرى بتعرضها لعامل واحد لا غير كما رأينا.

مكانة الكتابة العربية

بات في وسعنا -بعد أن عرضنا لنظم الكتابة، وما نسب إلى الكتابة العربية من مآخذ، ومزايا تلك الكتابة- أن نفاضل بين العربية في كتابتها وغيرها من كتابات اللغات الأخرى.

ستستند مفاضلتنا إلى معايير موضوعية، سنشير إليها فيما بعد، كي نتجنب المحاباة أو الأحكام المفتقرة إلى العلمية أو الدقة.

أشرنا في الفصل الأول إلى ثلاثة نظم كتابية مستعملة في الوقت الحاضر، وهي: النظام الفكري، والنظام المقطعي، والنظام الألفبائي. وقد خرجنا بمحصلة مؤداها أن النظام الألفبائي هو الأفضل موازنةً بالنظامين الآخرين، لما فيه من اختصار وسهولة،

فضلاً عن شيوعه. وعلى هذا سنسقط من مفاضلتنا اللغات التي تستخدم ذينك النظامين.

فإذا نظرنا إلى اللغات ألفبائية النظام، فسنجد نوعين من اللغات: اللغات ذوات التراث المكتوب كالألمانية والأسبانية.. إلخ، ومنها العربية، واللغات التي تفتقر إلى تراث مكتوب. ويقصد بهذه الأخيرة اللغات المستكشفة حديثًا في أفريقيا وأمريكا وغيرهما. وقد اصطنع علماء اللغة الذين اكتشفوا تلك اللغات نظامًا كتابياً ألفبائيًا للتعبير عن أصواتها، مستخدمين -في الغالب- الأبجدية الصوتية الدولية[١].

ولأن هذه اللغات المكتشفة حديثًا ذات إرث كتابي قصير، أو معدوم، فلن تدخل في المفاضلة، ذلك أن كتابتها لم تتعرض -إذا صح التعبير- لـ «ضغط الاستعمال»، علاوة على أنها لا تحمل ثقلاً حضاريًا أو عمقًا تاريخيًا. زد على ذلك أن مَنْ اصطنع لها نظامًا كتابيًا استفاد من مزالق الكتابات الأخرى،

(١) للاطلاع على الأبجدية الصوتية الدولية International Phonetic Alphabet وطرائق الكتابة الصوتية، انظر: دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، ص ٧٣-٩٤..
- وانظرأيضًا: أسس علم اللغة، ماريوباي، ص ٥١-٥٢.

وموظِّفًا في الوقت نفسه علمه اللغوي. فلو فضلنا كتابة من هذا النمط على كتابة أخرى، ولتكن الإنجليزية، فكأننا نفضل رضيعًا على رجل بالغ، على أساس طراوة ونعومة بشرته، متناسين العوامل الأخرى كالقوة والخبرة والذكاء . . إلخ.

فإذا ما استبقينا –بعد هذا– اللغات ذوات التراث المكتوب، فسنواجه نوعين من اللغات الحية: والميتة. وتشمل الأخيرة اللاتينية، والسنسكريتية شبه المنقرضة[1] وغيرهما. ولن ندخل اللغات الميتة في مفاضلتنا هذه.

يلاحظ أن طائفة من اللغات الحية ذوات الإرث المكتوب غيَّرت كتابتها، كالذي حدث في التركية والفنلندية. ولا بد لنا أن ننحّي هذا النمط من الكتابات عن المفاضلة، لأن الكتابة الجديدة لم تعد تخدم في الكتابات التي سبقتها.

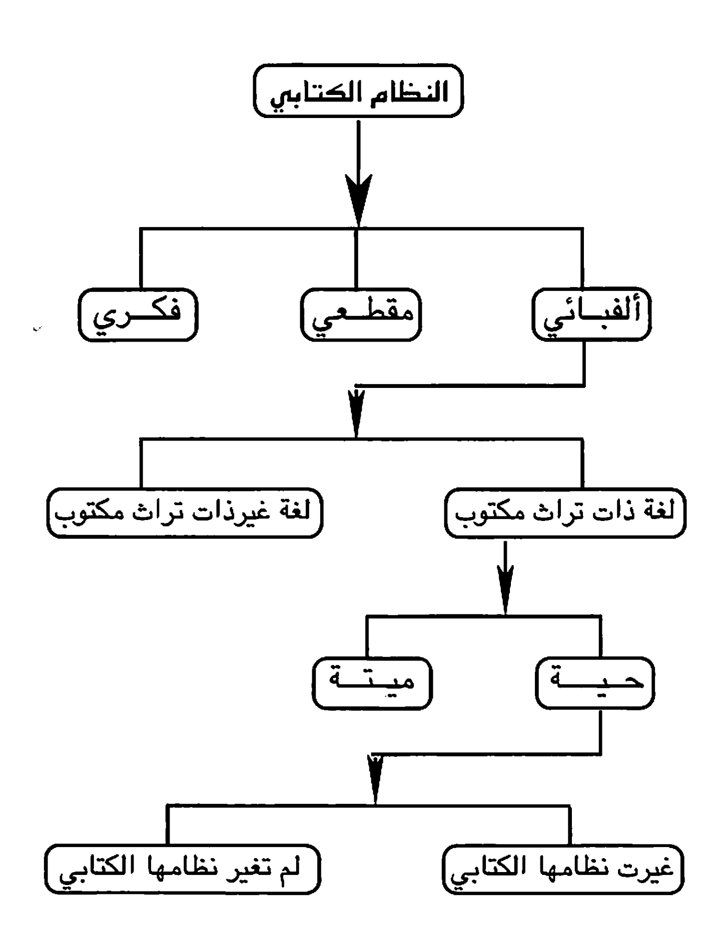
فما كُتِب باللغة التركية باستخدام الخط العربي، غريب على الشاب التركي في الوقت الحاضر غرابة الكتابة التركية الحالية بالنسبة للعربي. ومن ثم تتساوى الكتابة التركية الحديثة مع

---

(١) فيما يخص اللغة السنسكريتية انظر:
Encyclopeadia International, (1979), Lexiconn Publications, vol. 16, p. 189.

كتابات اللغات المكتشفة حديثًا من حيث افتقارها إلى العمق التاريخي والعراقة.

وبغية تلخيص التقسيمات السابقة، نرسم المخطط الآتي:



ولو تأملنا في هذا الصنف الأخير، أعني اللغات الحية التي لم تغير نظامها الكتابي، مع كونها حية وذوات إرث مكتوب وتتبع النظام الألفبائي، لوجد أنها في معظمها لغات حديثة لا يزيد عمرها على ستمائة سنة[١]. واللغتان اللتان يمكن أن نلتفت إليهما، إلى جانب العربية هما: اليونانية والعبرية[٢]، لما تتسمان به من القدم الذي يمكن أن يتفوقا به على الكتابة العربية[٣].

أما اليونانية فقد أشار مؤلفا كتاب «اللغة اليونانية»، إلى فروق عدة في نطق الأصوات بين اليونانيين القدماء واليونانيين اليوم[٤]. بعبارة أخرى: بالرغم من وجود حروف

(١) سبق أن أشرنا إلى أن ديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠) هو أول من كتب بالفرنسية. أما الإنجليزية الحديثة فبدأت سنة ١٥٠٠م، وبدأت الألمانية باستعمال الخط القوطي في القرن الرابع عشر، واستبدلته بعد الحرب العالمية الثانية. أما الإيطالية فبدأت الكتابة بها في القرن الرابع عشر، والأسبانية في القرن الخامس عشر، والفرنسية قبل أربعة قرون إلى خمسة. انظر الصفحات: ٤٤، ٥٣، ٦٦، ٦٩، ٧١ من كتاب (لغات العالم)، تأليف Katzner الذي سبقت الإشارة إليه.

(٢) اسقطنا السريانية لأنها تكتب بثلاث كتابات، كما مر.

(٣) من باب الاحتراز، سنعد الصيغة الحالية للكتابة العربية هي الصيغة التي تمت على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ).

(٤) F. Kinchin Smith, and T.W. Melluisch, (1968), Greek, Hodder and Stoughton, pp. 28-30.

مشتركة بين اليونانيتين، لا تحتفظ تلك الحروف بالقيمة الصوتية التي كانت لها في الماضي. غير أن الطريف أن المؤلفَيْن، بعد إشارتهما هذه، أوضحا أن هذه الفروق بين النطقين القديم والحديث، قائمة على أساس المقارنة بين النطق الحالي من جهة، والنطق القديم في آخر تصور للجنة الرابطة الكلاسيكية عن كيفية ذلك النطق من جهة أخرى[١].

بعبارة أخرى، ليس هناك من يقين أو تَثَبُّت من كيفية نطق الأغريق القدماء لأصواتهم، ومن ثم ينقِّح المختصون باليونانية القديمة تخيلهم لذلك النطق بين فترة وأخرى!

وإذا نظرنا إلى العبرية لوجدناها تتفوق على العربية في قدمها، بالرغم من أثر ذلك القدم في تغيرها وانكماشها. غير أن العبرية تفتقر إلى فونيمية العربية، وبعض مزاياها الأخرى، ويمكن تبيان ذلك في الأمور الآتية:

١- توجد في العبرية ستة أحرف تسمى حروف «بجدكفت»، ينطق كل واحد منها بنطقين؛ أحدهما في حالة

---

(١) Ibid, p. 28,30.

كونه معجمًا، والآخر في حالة كونه مهملاً. فالباء مثلاً تنطق باء إذا كان داخلها نقطة، وتنطق مثل حرف (V) الإنجليزي إذا كانت مهملة. وقد سقطت، ومنذ فترة طويلة، الأصوات (غ، ذ، ث) وهي الأصوات المهملة المناظرة للجيم والدال والتاء المعجمة (على التتالي).

٢– كانت العبرية –وما زالت– تستخدم حرفين لكتابة صوت السين؛ وهما السين والسامخ.

٣– تنطق العبرية الحديثة الطاء تاءً، والعين همزة، والحاء خاءً، والقاف كافًا، وتنطق حرف الصاد على الطريقة الألمانية «تسس»[١]. وهذا يعني أمرين:

أ/ أن القيمة الصوتية للحروف العبرية لم تعد هي نفسها الموجودة قديمًا.

---

(١) انظر في ذلك:

- دروس اللغة العبرية، ص ٦٨ وما بعدها.

- قواعد اللغة العبرية، د. فاروق جودي، وسعيد حرب، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٦، ص٧–١١. وانظر أيضًا:

-J.Weingreen, (1959), A Practical Grammar for Classical Hebrew, 2nd ed., London, O.W.P. p. 2-5.

ب/ وجود أكثر من حرف للصوت الواحد (علاوة على السين والسامخ). فلأن القاف تنطق حاليًا كافًا، بات في الكتابة العبرية كافان: أحدهما تُكتَب بما كان يدل على صوت القاف، والأخرى هي الحرف الأصلي الذي تُكتب به الكاف من قبل. ويصح الأمر نفسه على التاء، والهمزة . . .إلخ.

لو حاولنا -بعد هذا العرض- أن نفاضل بين الكتابة العربية وغيرها، فسوف نستند إلى المعايير الآتية:

١- الفونيمية.

٢- الحفاظ على أعلى قيمة صوتية.

٣- القدم.

أما المعايير الأخرى التي لم ندرجها فهي:

١- اتباع النظام الألفبائي.

٢- كونها حية.

٣- الوحدة (عدم اختلاف كتابة اللغة حسب الطائفة).

ويعود سبب عدم أدراجها إلى أنها متوفرة في معظم

اللغات الأوربية، فهي معايير مشتركة، وإنما تتم المفاضلة على أساس التفرد.

وبطبيعة الحال تتفوق الكتابة العربية في المعايير الثلاثة الأولى على اللغات الأوربية، إما بالمعايير الثلاثة مجتمعةً، كتفوقها على الكتابتين الفرنسية والإنجليزية في الفونيمية والحفاظ على أعلى قيمة صوتية والقدم، وإما بالمعيارين الثاني والثالث (كتفوقها على الأسبانية والألمانية بالحفاظ على أعلى قيمة صوتية، والقدم).

ولو وازنا بين العبرية والعربية، لوجدنا أن العبرية تتفوق في كتابتها على الكتابة العربية بالقدم، في حين تتفوق العربية في كتابتها على الكتابة العبرية بالفونيمية والحفاظ على أعلى قيمة صوتية. وآية ذلك أننا نجد العربية قد تفقد صوتًا واحداً هو الضاد -في لغة بعض القبائل- في حين نجد العبرية تفقد الغين، والذال، والثاء، والطاء، والعين، والحاء، والقاف، والصاد. وفي الوقت الذي نجد في العربية حرفًا واحداً من غير مقابل صوتي، وهو الضاد، نجد في العبرية: السامخ، والحروف التي كانت تدل

على الطاء، والعين، والحاء، والقاف، والصاد. فيكون مجموع الحروف التي لا تجد لها مقابلاً في العبرية ستة أحرف، مقابل حرف عربي واحد. وهذا يؤكد رأينا بتفوق الكتابة العربية على الكتابة العبرية في المعيارين الأول والثاني.

غير أن التأمل في هذه المسألة يقودنا إلى القول: بأن هذا التفوق للكتابة العربية يسلب جزءاً من تفوق العبرية في القدم، لأنه يجعلها كاليونانية. أي أننا لا نتحدث عن كتابة عبرية أقدم من الكتابة العربية، وهي (أي الكتابة العبرية) محتفظة في الوقت نفسه بالقيم الصوتية نفسها لحروفها عبر تاريخها كله، وإنما نتحدث عن عبرية بثلاث مراحل من حيث القيمة الصوتية والفونيمية: المرحلة الأولى التي كانت العبرية فيها تنطق بالأصوات: غين، وذال، وثاء، والمرحلة الثانية التي خلت فيها العبرية من تلك الأصوات الثلاثة، والمرحلة الثالثة هي التي خلت منها العبرية من الطاء، والعين، والحاء، والقاف، والصاد[1].

نستطيع أن نخلص مما سلف إلى أن العربية في كتابتها

---

(١) يجدر التنبيه إلى أن العبرية الحديثة (بسبب نطق الصاد «تس») تعبِّر عن الصوتين «تس» إما بحرفين (التاء والسين) وإما بما كان أصلاً تعبيراً عن الصاد.

متفوقة على الكتابتين العبرية واليونانية وغيرهما من لغات العالم الحية. وهي -بناء على ذلك- أفضل كتابة في العالم وفقًا للمعايير التي استخدمناها.

وقد أغفلنا -عامدين- حقيقة مهمة، وهي أن الكتابة مفتاح للمكتوب، ومن ثم يحظى المفتاح بأهمية تتناسب مع ما يقود إليه. ولو قومنا الكتابة العربية حسب هذا المقياس، لوجدنا أنها ليست خير مفتاح فحسب، بل خير إقليد لأعظم خزانة.

فقد حملت هذه الكتابة القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وملايين الصفحات المسطَّرة في ميادين العلم المتنوعة والمتشعبة، مما يزيدها تفوقًا وفضلاً على لغات أخرى قد تضارعها (أو تفوقها) في القدم، ولكنها لا تمتلك الثقل الحضاري والمعرفي الذي حظيت به الكتابة العربية.

حاشية
صنيع مصطفى كمال

عمد مصطفى كمال، في ثلاثينيات هذا القرن، إلى إلغاء الكتابة العربية، وأحل بدلها الحروف اللاتينية. وقد كان هذا التغيير في تركيا حافزاً لطائفة من العرب للدعوة إلى أن تحذو العربية حذوه وتقتفي أثره.

ولا بد لنا أن ننبه ههنا إلى أمر ذي أهمية بالغة، وهو أن تغيير الكتابة التركية لم يكن إلا صفحة من كتاب ضخم كان في رأس الزعيم التركي. فقد كان الهدف هو تغيير «الثقافة» التركية. والمقصود بالثقافة هو المفهوم السائد عنها في الدراسات الاجتماعية، أي عادات الناس وتقاليدهم وأفكارهم ومعتقداتهم وملبسهم وما إلى ذلك[1]. وعلى هذا الأساس، صار يوم الأحد هو العطلة الأسبوعية الرسمية بدلاً من يوم الجمعة، وفُرض لبس القبعة، وجعلت العلمانية الاتجاه الرسمي

---

(١) انظر في مفهوم الثقافة، مادة Culture في:
G.Duncan Mitchell, (ed.), (1979), A New Dictionary of Sociology, Routledge and Kegan Paul.

للدولة ... إلخ.

فإذا وضعنا ذلك نصب أعيننا، فسنجد أن إلغاء الحروف العربية لم يكن لأسباب لغوية، وإنما لأسباب أخرى مختلفة كل الاختلاف عن الاعتبارات اللغوية، وبعيدة عنها.

وإذا كان الأمر كذلك، فإن التعلاّت والمسوّغات التي ذكرت جاءت «بعد» اتخاذ قرار تبديل الكتابة، لا «قبله». ولأن كتابنا هذا معني أساسًا بالجانب اللغوي للكتابة، فسنشير إلى الأسباب التي عثرنا بها(١) بوصفها بواعث تغيير الكتابة التركية.

١– إن اصطناع الحروف اللاتينية يجعل اللغات الأوروبية أقرب منالاً إلى الإنسان التركي.

٢– إن العربية تعجز بصوائتها الثلاثة عن استيعاب ثمانية صوائت تركية.

وقد أجرت الكتابة التركية الجديدة مجموعة من التغييرات في الحروف اللاتينية لتجعلها منسجمة مع اللغة التركية. وأهم

---

(١) Dana Facaros, and Michael Pauls, (1986), Turkey, Cadogan Books, London, pp. 381-382.

تلك التغييرات جعل الحرف (c) ينطق جيمًا، وجعل الحرف نفسه بعد وضع زائدة تحته (ç) ينطق مثل الصوت الأول في كلمة chair الإنجليزية. كذلك وضع زائدة تحت الحرف (s) (أي ş) لينطق شينًا.

٣- علاوة على ما سلف، يردد فريق من غير العرب، ممن يستخدمون الحرف العربي حاليًا، حجة يمكن أن تزاد على الحجتين السابقتين خلاصتها أن الكتابة العربية كتابة سامية، وبما أن لغتهم غير سامية، توجَّب إحلال حرف آخر محل الحرف العربي.

مناقشة الحجة الأولى:

يمكن أن تَرِد على هذه الحجة جملة من الاعتراضات، أهمها:

أ/ إنها تفترض أن سيادة الحضارة الأوروبية، ومن ثم لغاتها، ستستمر إلى الأبد. ولهذا لا بد للتركي أن يتعلم ما يعينه على فهم لغات هذه الحضارة الخالدة. وهذا الرأي -كما علَّمَنا التاريخ- لا يثبت عند النقاش. فما الموقف إذا سادت

حضارة شرقية كاليابانية أو الصينية، فهل تغير التركية كتابتها مرة أخرى؟

ب / إن التركي خسر الاتصال بتراثه المكتوب بالحروف العربية (وهو التراث التركي برمته، في الواقع) مقابل معرفة تافهة. فالتركي لم يتعلم أية لغة أوروبية بهذا التغيير، وإنما تعلم الحروف الأوروبية، وهذا العمل لا يأخذ من تلميذ الابتدائية أكثر من ثلاثة أسابيع لتعلمه. ولا نستبعد أن يتعلم تلميذ متوسط الذكاء هذه الحروف في يوم واحد إذا ما بذل جهداً حقيقياً. فهل تستحق هذه المعرفة التضحية بالكتابة العربية؟

ج / إن جزءاً من هذه المعرفة التركية يقف عائقاً، لا مساعداً، أمام التركي في نطقه الصحيح للغات الأوربية. فلا نجد في الإنجليزية والفرنسية والألمانية (وهي اللغات الأوروبية الرئيسة) نطق حرف (c) جيماً، مما يوقع التركي في إشكال عند قراءته لكلمة مثل cat الإنجليزية، فعليه أن يتذكر دائماً إنها تنطق (كات) وليس (جات). والأمر نفسه يحصل في هذا الحرف وقد وُضِعت تحته زائدة، فهذا الحرف يستخدم في

الفرنسية للإشارة إلى نطقه سينًا، ولا ينطق كما ينطقه التركي.

وههنا مفارقة يجدر أن ننبه إليها، وهي أن العادات اللغوية للمرء تؤثر في تعلمه لغة أخرى. ومن الأمثلة الواضحة على ذلك هو تعودنا -نحن العرب- على نطق الحرف (Z) زاياً، كما هو الحال في الإنجليزية والفرنسية. فإذا مرّت بنا الكلمة الألمانية Nazi قرأناها على الطريقة (الإنجليزية والفرنسية) التي تعلمناها لقراءة الحرف، فنقول: نازي، في حين إنها تنطق بالألمانية «ناتسي». وعلى النحو نفسه يمكن للتركي أن يقع في مزلق طريقته التي يألفها في قراءة حروف لغته هو عند مواجهته لحروف مشابهة لها في الشكل في لغات أخرى.

مناقشة الحجة الثانية:

في وسع المتأمل لمناقشتنا للحجة الأولى أن يستشف إمكان دحض الحجة الثانية. صحيح إن الصوائت العربية محدودة العدد قياساً بعددها في لغات أخرى كالفرنسية والإنجليزية والتركية، بيد أن هذا لا يستدعي إلغاء الكتابة العربية.

فالناظر إلى الحروف التركية الجديدة الدالة على الصوائت،

سيجد أنها لم تترك بعض حروف العلة اللاتينية على حالها، بل أجرت فيها تغييرات للدلالة على التغيير في نطقها. فنجدها تضع حرف ثمانية عربيًا صغيرًا على (a)، ونقطتين فوق حرف (u)، ونقطتين فوق حرف (o)، وهكذا مما يماثل -إلى حد ما- بعضًا مما في الألمانية والفرنسية.

والغريب حقًا أن تلجأ التركية الحديثة إلى استعارة التغييرات التي تستعين بها الألمانية والفرنسية في أشكال الحروف للتعبير عن التنوعات في الصوائت، ولا تفعل ذلك بحروفها العربية. بعبارة أخرى: أما كان في وسع اللغة التركية إدخال تغييرات على أحرف العلة العربية لتستوعب الصوائت التركية التي لا وجود لها في العربية؟

ونجد مصداق رأينا هذا في لغة كالفارسية، تستخدم الحروف العربية ولكنها طوّعت قسمًا منها لتعبر عن أصوات فارسية لا وجود لها في العربية الفصحى. فنجد أن الباء المهموسة، وهي التي نجدها في حرف (p) الإنجليزي، موجودة في الفارسية، غير معترف بها في العربية الفصحى. فلجأ الفرس

إلى كتابة هذا الصوت بوضع نقطتين أخريين زيادة على النقطة الموجودة في الباء، ليصبح المجموع ثلاث نقاط. وللتعبير عن الصوت الأول الموجود في كلمة chair الإنجليزي نجد الفارسية تضع ثلاث نقاط تحت الحاء، وهكذا[1]. وتفعل الكردية فعل الفارسية في هذا الخصوص.

وقد يقال: إن التركية أرادت أن تردم الهوة بين كتابتها ونطقها، تلك الهوة التي أشرنا إليها في الفصل الأول، وهي مدار معاناة كثير من اللغات. بيد أن علاج الردم لا يستدعي استخدام هذا الدواء. فالحرف اللاتيني لا يتسم بصفات يفتقر إليها الحرف العربي، بحيث إنه يحل مشكلة تستعصي على الحرف العربي، بدليل أن الكتابتين الإنجليزية والفرنسية -كما مر بنا- تعانيان من هذه المشكلة، ولم يُفِدْها الحرف اللاتيني في شيء. ولن يمنع هذا التغيير في الكتابة التركية من نشأة فجوة جديدة (بعد قرون تقل أو تكثر) بين الكتابة والنطق في التركية.

---

(١) المرجع في اللغة الفارسية، د. أحمد كمال الدين حلمي، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٧٥م، ص١٣.

مناقشة الحجة الثالثة:

تفترض هذه الحجة وجود ارتباط عضوي ضروري بين شكل الحرف ونطقه، يشابه ارتباط النار بالحرارة أو البرق بالرعد، وبناء على ذلك تمضي هذه الحجة إلى القول: بأن حرفًا مثل الباء العربية لا بد أن ينطق باءً، أينما استخدم ومتى ما استخدم. وإذا كان الأمر كذلك، وفقًا لهذه الحجة لا بد للغة أن تتخذ الحروف التي تتناسب مع عائلتها اللغوية التي تنتمي إليها، وبما أن لغة كالتركية أو الكردية أو غيرهما، لا تنتمي إلى عائلة اللغات السامية، فينبغي تبني كتابة تتناسب والعائلة اللغوية التي تنتمي إليها اللغة.

والواقع يكذب هذه الحجة ويفندها، فليس هناك من ارتباط ضروي بين شكل الحرف ونطقه، وإنما هناك علاقة اعتباطية يُكسبها المجتمعُ، لا الحرفُ نفسه قدراً من التلازم والثبات.

وآية ذلك أن صوت الراء -مثلاً- يكتب بأشكال عدة، فنجده يكتب في الإنجليزية (r) وفي العزبية (ر) وفي الروسية (p) وهكذا. فلو كان هناك تلازم بين شكل الحرف والصوت

لكُتب بصورة موحدة في اللغات المختلفة. ونجد أحيانًا الشكل الواحد (أي الحرف) ينطق نطقًا مختلفًا من لغة إلى أخرى. فحرف (p) ينطق باء مهموسة في الإنجليزية والفرنسية والألمانية، وينطق راء في الروسية كما ذكرنا.

ويؤكد الاستعمال الفعلي ما سبق أن قررناه، فالفارسية والأردو لغتان تنتميان إلى اللغات الهندوأوروبية[١]، ولكنهما تستخدمان الكتابة العربية، في حين استخدمت لغات أفريقية تنتمي إلى عوائل لغوية لا علاقة لها بالعائلة الهندوأوروبية، الحرف اللاتيني.

وقد استخدمت التركية نفسها الحرف العربي، ثم الحرف اللاتيني، وهي لا تنتمي إلى أيٍّ من العائلتين الساميتين أو الهندوأوروبية، وإنما تنتمي إلى عائلة اللغات الألتية[٢] Altaic.

تؤكد هشاشة الحجج التي أوردناها ما سبق أن قررناه من أن الذرائع والتسويغات جاءت بعد القرار لا قبله، وأن الغرض هو

---

(١) Yule, (Ibid.), p. 214.

(٢) Katzner, (Ibid.), p. 19.

فصم العلاقة بين التركي وماضيه، بحيث لا يستطيع التركي الآن حتى قراءة رسالة كتبها أبوه أو جدُّه في الربع الأول من هذا القرن. وبهذا يسهل تشكيل عقل التركي بما يُقَدَّم إليه من زاد فكري وحضاري حديث حسب الغايات المرسومة.

ومن الغريب حقًا أن يُنظر إلى هذا الفعل الذي قام به مصطفى كمال على أنه إنجاز كبير، ومأثرة رائعة. وكان مصدر إشعاع لفريق من اللغويين العرب المحدثين، من غير أن يضعوا صنيع مصطفى كمال في مكانه الصحيح، وهو تحويل تركيا إلى دولة أوروبية شكلاً ومضمونًا، لتحظى برعاية الغرب وعطفه. ونترك للقارئ تقدير النتيجة!

ملحق (١)
أنواع الكتابات السريانية

	اليعقوبي الحروف المفردة	الاسطرنجيلي	النسطوري
أ	ܐ	ܐ	ܐ
ب	ܒ	ܒ	ܒ
جـ	ܓ	ܓ	ܓ
د	ܕ	ܕ	ܕ
هـ	ܗ	ܗ	ܗ
و	ܘ	ܘ	ܘ
ز	ܙ	ܙ	ܙ
ح	ܚ	ܚ	ܚ
ط	ܛ	ܛ	ܛ
ي	ܝ	ܝ	ܝ
ك	ܟ	ܟ ܟ	ܟ ܟ
ل	ܠ	ܠ	ܠ
م	ܡ	ܡ ܡ	ܡ ܡ
ن	ܢ	ܢ ܢ	ܢ ܢ
س	ܣ	ܣ	ܣ
ع	ܥ	ܥ	ܥ
ف	ܦ	ܦ	ܦ
ص	ܨ	ܨ	ܨ
ق	ܩ	ܩ	ܩ
ر	ܪ	ܪ	ܪ
ش	ܫ	ܫ	ܫ
ت	ܬ	ܬ	ܬ

ملحق (٢)

تنوع أشكال الحروف في

الكتابة السريانية اليعقوبية (الغربية)

	اليعقوبي الحروف المفردة	اليعقوبي في الأول	اليعقوبي في الوسط	اليعقوبي في الآخر
أ	ܐ			ܐ
ب	ܒ	ܒ	ܒ	ܒ
ج	ܓ	ܓ	ܓ	ܓ
د	ܕ			ܕ
هـ	ܗ			ܗ
و	ܘ			ܘ
ز	ܙ			ܙ
ح	ܚ	ܚ	ܚ	ܚ
ط	ܛ	ܛ	ܛ	ܛ
ي	ܝ	ܝ	ܝ	ܝ
ك	ܟ	ܟ	ܟ	ܟ
ل	ܠ	ܠ	ܠ	ܠ
م	ܡ	ܡ	ܡ	ܡ
ن	ܢ	ܢ	ܢ	ܢ
س	ܣ	ܣ	ܣ	ܣ
ع	ܥ	ܥ	ܥ	ܥ
ف	ܦ	ܦ	ܦ	ܦ
ص	ܨ			ܨ
ق	ܩ	ܩ	ܩ	ܩ
ر	ܪ			ܪ
ش	ܫ	ܫ	ܫ	ܫ
ت	ܬ			ܬ

ملحق (٣)

الحركات في الخط

السرياني اليعقوبي (الغربي)

فتحة	[illegible]	[illegible]
إمالة	[illegible]	[illegible]
كسرة	[illegible]	[illegible]
ضمة	[illegible]	[illegible]

الفهرس

طالب عبد الرحمن عبد الجبار

* من مواليد بغداد عام ١٩٥٠.

* حصل على درجة الماجستير من قسم اللغة العربية بكلية الآداب، في جامعة بغداد عام ١٩٧٥، وعلى درجة الدكتوراه في جامعة سانت اندروز ببريطانيا عام ١٩٨٣م.

* اشتغل بتدريس مواد النحو والصرف وعلم اللغة بفروعه في عدد من الجامعات العراقية.. ويعمل حالياً في جامعة صنعاء باليمن.

* يجيد اللغة العربية، والإنجليزية، والفرنسية، والعبرية، والسريانية.

* أشرف على عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه، وحضر العديد من المؤتمرات العلمية.

* له عدد من البحوث المنشورة باللغتين العربية والإنجليزية.. منها:

- مفهوم الكلام المفيد بين النحاة العرب وعلماء اللغة المحدثين.
- ترجمة أسماء المخترعات إلى العربية.
- الواقع اللغوي المعاصر.



ص . ب : ٨٩٣ ـ الدوحة ـ قطر

من شروط النشر في السلسلة

- أن يهتم البحث بمعالجة قضايا الحياة المعاصرة، ومشكلاتها، ويسهم بالتحصين الثقافي والتغيير الحضاري، وترشيد الصحوة، في ضوء القيم الإسلامية .
- أن يتسم بالأصالة، والإحاطة والموضوعية، والمنهجية .
- أن يشكل إضافة جديدة، وألا يكون سبق نشره .
- أن يُوثَّق علميًا، بذكر المصادر، والمراجع، التي اعتمدها الباحث مع ذكر رقم الآيات القرآنية، وأسماء السور، وتخريج الأحاديث .
- أن يبتعد عن إثارة مواطن الخلاف المذهبي، والسياسي، ويؤكد على عوامل الوحدة والاتفاق .
- أن يكون البحث بخط واضح، ويفضل أن يكون مكتوباً على الآلة الكاتبة ، وألا يزيد عن مائة صفحة (حجم فولسكاب) تقريباً .
- يفضل إرسال صورة عن البحث، لأن المشروعات التي ترسل لا تعاد، ولا تسترد، سواء اعتمدت أم لم تعتمد . .
- تُرسل السيرة الذاتية لصاحب البحث.

تقدم مكافأة مالية مناسبة

وكـــــلاء التـــوزيـــع

البلـد	اســـم الوكيـــل	رقم الهاتف	عنـوانـه
قطـــر	□ دار الـثـقــــافــــة □ دار الثقافة «قسم توزيع الكتاب»	٤١٤١٨٢ ٤١٣٤٧١	ص.ب: ٨١٥٠ ـ الدوحة فاكس: ٤٣٦٨٠٠ ـ بجوار سوق الجبر
السعودية	□ مـكتبـــة الــــوراق	٤٥٠٩٠٥٧-٤٥٥١١٤٢	ص.ب: ٩ الرياض ١١٤١١ فاكس: ٤٥٣٠٠٧١
الإمارات	□ مكتبـــة علـــوم القـــرآن	٣٧٤٤٤٥	ص.ب: ٢١٦٣٣ ـ الشارقة فاكس: ٣٦١١١٠ ـ الإمارات
البحرين	□ مـكـتـبـــــة الأداب	٢٣١٠٦٢ ٢١٠٧٦٨ (المنامة) ٦٨١٢٤٣ (مدينة عيسى)	ص.ب: ٢٨٧ ـ البحرين فاكس: ٢١٠٧٦٦
الكويت	□ مكتبة دار المنار الإسلاميـة	٢٦١٥٠٤٥	ص.ب: ٤٣٠٩٩ ـ حولي ـ شارع المثنى رمز بريدي: ٢٣٠٤٥ فاكس: ٢٦٣٦٨٥٤
سلطنة عمان	□ مكتبـــة علوم القـرآن		ص.ب: ١٩٦٠ روي ١١٢ فاكس: ٧٨٣٥٦٨
الأردن	مؤسسة الفريد للنشر والتوزيع	٥٦٠١٠٩٩	ص.ب: ٩٦٠٦٥٤ ـ عمّان فاكس: ٥٦٩٨٩٢٩
اليمـــن	□ مكتبـــة الجيـــل الجديـــد	٧٨٠٤٠ـ٧١٣٦٣ ٢٧٠٣٨ـ٧٥٨١١	ص.ب: ٥٤٤ ـ صنعاء
السـودان	□ دار التـــوزيـــع	٧٧٩٤٦٠ـ٧٧٥٥٨٥	ص.ب: ٣٥٨ ـ الخرطوم
مصـــر	□ مؤسسة تـوزيـع الأخبـار	٧٥٨٨٨٨ـ٧٤٨٨٤٤ ٧٤٨٨٨٨	ص.ب: ٧ ـ القاهرة فاكس: ٥٧٤٨٧٠١
المغــرب	□ الشركة العربية الأفريقية للتوزيع «سيبرس»	٢٤٩٢٠٠	ص.ب: 13008 - 70 زنقة سجلماسة الدار البيضاء 5 ـ فاكس: ٢٤٩٢١٤
إنكلـتـرا	□ دار الرعـايـــة الإســلاميـــة	(01) 272-5170/ 263 - 3071	**Muslim Welfare House,** 233. Seven Sisters Road, London N4 2DA. Fax : (071) 281 2687 Registered Charity No: 271680

ثمن النسخة

الأردن	(٥٠٠)	فلس
الإمارات	(٥)	دراهم
البحرين	(٥٠٠)	فلس
تونس	دينار	واحد
السعودية	(٥)	ريالات
السودان	(٤٠)	ديناراً
عُمان	(٥٠٠)	بيسة
قطر	(٥)	ريالات
الكويت	(٥٠٠)	فلس
مصر	(٣)	جنيهات
المغرب	(١٠)	دراهم
اليمن	(٤٠)	ريالاً

* الأمريكتان وأوروبا وأستراليا وباقي دول آسيا وأفريقيا، دولار أمريكي ونصف، أو ما يعادله.

مركز البحوث والدراسات

هاتف : ٤٤٧٣٠٠

فاكس : ٤٤٧٠٢٢

برقياً : الأمة ـ الدوحة

ص . ب : ٨٩٣ ـ الدوحة ـ قطر

موقعنا على الإنترنت:

www.islam.gov.qa

البريد الإلكتروني :E-Mail

M_Dirasat@Islam.gov.qa

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
مـركـز البـحـوث والدراسـات

جـائـزة مكتبـة الشيـخ
علي بن عبد الله آل ثاني
للعلوم الشرعية والفكر الإسلامي

إسهاماً في تشجيع البحث العلمي، والسعي إلى تكوين جيل من العلماء في ميادين العلوم الشرعية المتعددة ، تنظم مكتبة الشيخ علي ابن عبد الله آل ثاني رحمه الله الوقفية، مسابقة بحثية في مجال العلوم الشرعية والفكر الإسلامي، جائزتها خمسة وسبعون ألف ريال قطري.

شـروط الجائـزة :

١ ـ يُشترط في البحوث المقدمة، أن تكون قد أُعدّت خصيصاً للجائزة، وألا تكون جزءاً من عمل منشور، أو إنتاج علمي حصل به صاحبه على درجة علمية جامعية، وأن تتوفر في هذه البحوث خصائص البحث العلمي، من حيث المنهج والإحاطة والتوثيق، وسلامة الأسلوب والجدة والابتكار.

٢ ـ يُقدم البحث باللغة العربية من ثلاث نسخ، مكتوباً على الآلة الكاتبة، ويفضل أن يكون مكتوبًا على الحاسوب، على ألا يقل عدد صفحاته عن مائتين وخمسين صفحة، ولا يزيد على ثلاثمائة صفحة «A4 x ٢٢ سطرًا x ١٢ كلمة».

٣ ـ يحق للجهة المشرفة سحب قيمة الجائزة، إذا اكتشفت أن البحث الفائز

قد نُشر سابقًا، أو قُدِّم إلى جهة أخرىٰ، لغرض آخر، أو مستلاً من رسالة علمية. كما يحق لها حجب الجائزة في حالة عدم ارتقاء البحوث المقدمة للمستوى المطلوب.

٤- يحق للجنة التحكيم التوصية بمنح الجائزة مشتركة بين اثنين أو أكثر من الباحثين، كما يجوز اشتراك باحثَين أو أكثر في كتابة بحوث الجائزة.

٥- لا تمنح الجائزة لمشارك واحد أكثر من مرة خلال فترة ثلاث سنوات.

٦- يُرفق مع البحث ترجمة ذاتية لصاحبه، وثبتًا بإنتاجه العلمي المطبوع وغير المطبوع، بالإضافة إلى صورة جواز السفر وصورة شخصية حديثة.

٧- تعرض البحوث على لجنة من المحكمين، يتم اختيارهم في ضوء موضوع الجائزة.

* وقد أعلن عن موضوع: « **الأسرة المسلمة في العالم المعاصر** » كعنوان لجائزة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، وفق الأطر العامة الآتية:

- الأسس الشرعية لبناء الأسرة.
- الأسرة في مرحلة القدوة (العهد النبوي والخلافة الراشدة).
- دور الأسرة في التربية والنهوض الحضاري.
- تحديات تواجه الأسرة (تحديات داخلية وخارجية)، وسبيل التحصين.
- رسالة الأسرة المسلمة في عالم اليوم.

ومـوضـوع «**إشكـاليـة الـتـعليم في العـالم الإسـلامي**» كـعنوان لجـائزة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، وفق الأطر العامة التالية :

- التعليم المحور الأساس للتنمية والنهوض الحضاري.
- أبعـاد الإشكالية : البعـد السياسي، البعـد الإعـلامي، والثقـافي، البعـد الاجتماعي، البعد المنهجي.
- عـجز التـعليـم بمؤسـساته المختلفـة عن تحـقيـق أهدافــه : مـواطن الخلل وأسباب العجز.
- دور مؤسسات البحث العلمي ومراكز الدراسات في البناء التعليمي.
- وسائل التصويب، وكيفية النهوض.

❊ آخر موعد لاستلام بحث (**الأسرة المسلمة في العالم المعاصر**)، شهر إبريل عام ٢٠٠٠م، بينما آخر موعد لاستلام بحث (**إشكالية التعليم في العالم الإسلامي**)، شهر فبراير عام ٢٠٠١م.

العنوان البريدي :

- ترسل البحوث بالبريد المسجل على العنوان التالي :

مـركــز البحــوث والـدراســات

ص . ب : ٨٩٣ ـ الدوحة ـ قطر

للاستفسار، يرجى الاتصال على :

هاتف : ٣٢٤٥٨٤ ـ ٤٤٧٣٠٠ ـ ٣٢٨٢٥٤

فاكس : ٤٤٧٠٢٢ ـ ٠٠٩٧٤

البـريد الإلكتـروني : E-Mail: M_Dirasat@Islam.gov.qa

رقم الإيداع بدار الـكتب القطريـة : ٥٩ لسنة ١٩٩٩
الرقم الدولي (ردمك) : ٥ - ٨٨ - ٢٣ - ٩٩٩٢١

طبع بمطابع علي بن علي

هذا الكتاب.. يشكل محاولة جادة لمناقشة مشكلة تعتبر من أخطر المشكلات، التي تتعرض لها الكتابة العربية، بعد أن اتسعت فجوة التخلف في عالم العرب والمسلمين، وما رافق ذلك من التطور الهائل لتقنيات الكتابة والاتصال، والدعوة العريضة إلى ضرورة استبدال الحروف الأجنبية بالكتابة العربية، الأمر الذي يعني أول ما يعني إحداث القطيعة مع القرآن الكريم والسنة النبوية والتراث التاريخي للأمة المسلمة، ومسح ذاكرتها، بحجة أن تعلم الكتابة العربية ورسمها وحروفها صعب قياساً ومقارنة بالكتابة بالحروف الأجنبية.

والباحث حاول تفنيد المآخذ المنسوبة إلى العربية، وعقد مقارنة متخصصة مع الفرنسية والإنجليزية، مبرزاً النقائص والمزالق الموجودة في أشهر لغات العالم المعاصر اليوم.

وتأتي ميزة الكتاب في أنه ركز على مناقشة الأفكار لا الأشخاص، وحاول التفريق بين مناقشة القيمة «الفكرة»، بعيداً عن الذات، مبيناً أن دعاة التغيير لم يكونوا موضوعيين في عرضهم الحقائق.. إضافة إلى أن الباحث تمكن من عرض النقاط الفنية المتخصصة بأسلوب سهل واضح، ليصل إلى أكبر عدد ممكن من القراء.

موقعنا على الإنترنت: www.islam.gov.qa
البريد الإلكتروني: E-Mail: M_Dirasat@Islam.gov.qa